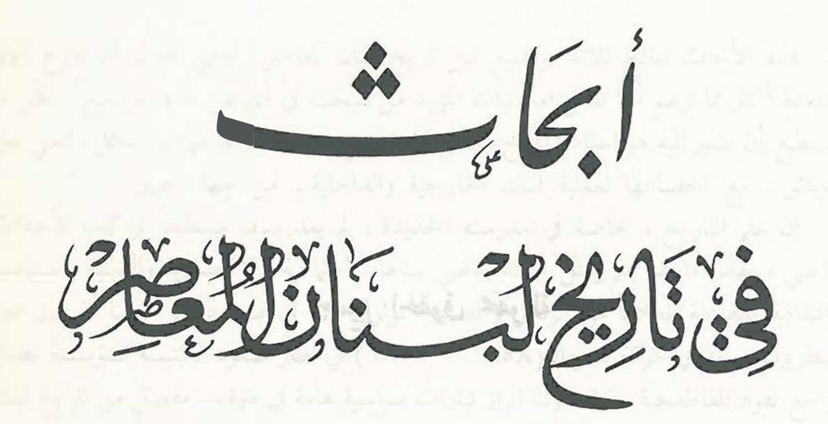
د. عصام كمال خليفة
أحد أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية



أبحاث في تاريخ لبنان المعاصر

دار الجيل
بيروت

الطبعـة الأولى
١٩٨٥

أرشيف وزارة الخارجيّة الفرنسيّة (١٩١٨-١٩٤٥) وأهميّته في كتابة التاريخ اللبناني *

* بحث مقدّم الى المؤتمر الأول لأرشيف تاريخ لبنان الذي عقد في كلية الآداب (الفرع ٢) — الفنار — الجامعة اللبنانية، ١٩٨٣.

أرشيف وزارة الخارجية الفرنسيّة (١٩١٨-١٩٤٥) وأهميته في كتابة التاريخ اللبناني

د. عصام خليفة*

مقدّمة حول الارشيف

أ) التحديد اللغوي والمعنوي

يكاد يكون من المتفق عليه بين أغلب اللغويين ان كلمة ارشيف (Les Archives) هي ذات أصول لاتينية ويونانية. فكلمة (Archivum) اللاتينية تعني – من الوجهة اللغوية – الورقة، وربما توسع هذا المعنى فشمل معنى «المستند». أما كلمة (Archeion) اليونانية فتعني، من الوجهة اللغوية، «المكتب» أو الموجودات المختلفة في مكان ما[١].

والارشيف، تحديدًا هو عبارة عن مجموع الوثائق المأخوذة والموضوعة في حوزة شخص مادي أو معنوي، أو مؤسسة عامة او خاصة. وعملية جمع هذه الوثائق وتنظيمها تهدف إمّا الى استعمال فردي او مباشر، واما من أجل استعمال لاحق محتمل[٢]. بيد ان الوثائق لا تقتصر على مجموعة من الأوراق، بل انها قد تتشكّل ايضًا من الخرائط والصور الفوتوغرافية والأفلام والشرائط المسجّلة وغيرها، وربما يصبح الفيديو – وهو من الصوت والصورة – أحد وثائق المستقبل.

ب) الارشيف والكتابة التاريخية:

يعتبر البعض ان الارشيف هو ذاكرة الزمن الماضي والحاضر وذاكرة الزمن الآتي، وقد أصبح، خاصة منذ قرنين، المصدر الذي لا غنى عنه لكل عمل في مجال الكتابة التاريخية. لا بل ان البعض يذهب الى اعتبار مخازن الارشيف مختبر المؤرّخين[٣]. وبشكل عام لم تنهض الكتابة

* كلية الآداب والعلوم الانسانية (٢)، الجامعة اللبنانية.

١. نسيب عبدالصمد، *المخطوطات اللبنانية في ستين عامًا*، لا اسم للمطبعة، لا تاريخ، ص ١٤.

٢. Jean FAVIER, *Les Archives*, «Que sais-je?», P.U.F., 1975, p. 5

٣. المرجع السابق، صفحة ٣٩.

التاريخية نهضتها الحقيقية إلّا بعد النهضة التي عرفتها المكتبات والمتاحف ودور الارشيف ، هذه الأماكن التي تجمع الوثائق المتنوعة لموضوع معيّن في مكان واحد سامحة للمؤرّخين ان ينكبّوا على دراساتهم وأبحاثهم . وفي هذا السياق يجب الإشادة بدور الحكومات والدول – المتحضّرة – التي اعتبرت منذ قرون عدة[٤] ان كل الوثائق السياسية والأميرية ونصوص القوانين وسجلات قرارات السلطة والمعاهدات وما إليها كلها ملك الدولة ، كما انها منذ القرن الماضي وسعت حقوق مطالباتها لعدة أنواع من الوثائق فصادرتها ، ووضعتها في مستودعات على أسس منظمة ، مسهّلة الرجوع إليها عند الحاجة الى البحث . وانطلاقًا من ذلك تبرز جدلية الترابط بين تعزيز الدول للارشيف وقيام النهضة في التأليف التاريخي . ولكن هذه الجدلية لا تعني تغييب دور المؤرّخين ، فموهبة المؤرّخ المتفوّق لا تكمن فقط في اكتشاف الوثائق ، بل ترتبط ايضًا بمعرفة اي الوثائق يجب ان يكتشف ومتى وكيف يستعملها[٥] .

اذا كان من غير الممكن كتابة التاريخ إلّا على أساس الوثائق[٦] ، واذا كانت الخطوة الأولى في العمل التاريخي هي خطوة البحث عن الوثائق (heuristique) ، فان الارشيفات (التي هي مجمّع للوثائق) تصبح أداة البحث التاريخي من درجة أولى . من هنا ضرورة تنظيمها لتقوم بمهمتها على وجه أكمل ، وتسهيل استعمالها في أقل وقت وبأقل جهد .

فالارشيفات غير المفهرسة تبدو وكأنها ليست لكل الباحثين الذين لا يجدون متّسعًا من الفراغ كما يقوموا هم أنفسهم باستقصاء هذه الخزائن والمستودعات . علمًا ان الارشيف لم يعد مقتصرًا على أقلية من المثقفين ، بل أصبح الاطّلاع عليه ملكًا للجميع وبالتالي أصبح أداة ثقافة ، وأحد أبرز أعمدة التربية . عبره يندمج الماضي في حضارة عصرنا الحاضر ، وعبره تستطيع قطاعات واسعة من الناس اكتشاف او تذكّر تاريخ هذا الحاكم ، أو أوضاع بلاطات الأمراء وعائلات

---

٤. لقد وجد علماء الآثار العديد من الارشيفات المحفوظة في المعابد المصرية القديمة ، وفي قصور ما بين النهرين ، وكذلك في ماري واوغاريت وايبلا ، وقد شكّلت هذه الارشيفات المادّة الأساسية لكتابة التاريخ القديم لهذه المنطقة . والجدير ذكره ان حفظ الوثائق عند شعوب الشرق القديم تنم عن رقي حضاري نسبي .

٥. Henri-Irénée MARROU, *De la connaissance historique*, Éd. du Seuil, Paris 1975. p. 72

٦. «الوثيقة هي كل مصدر يمكن استقاء المعلومات منه من قبل المؤرّخ لتوضيح جوانب الماضي» مارّو ، المرجع السابق ، ص ٧٣ . وكولنجوود يقول : «كل شيء يمكن ان يصبح وثيقة بالنسبة لأي موضوع . ليس التاريخ سوى استثمار الوثائق» لانجلوا وسينوبوس . **المدخل الى الدراسات التاريخية** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٢٤٨ .

«قبل ان تصبح الوثيقة التاريخية نتاجًا مهملاً كانت عامل دفع لعملية التقدّم الحضاري» .

«اذا ضاعت الاصول ضاع التاريخ» (أسد رستم) Jean FAVIER, *op. cit.*, p. 75

«Dès qu'une civilisation a conservé les "archives" de ses autorités publiques, économiques, religieuses, "l'historien" cesse d'être nécessairement un "archéologue": il peut travailler sur un terrain solide et dès lors, l'histoire peut être écrite scientifiquement sur les documents et non plus reconstituée par voie de conjectures.» *L'Histoire et ses méthodes*, Encyclopédie de la Pléiade, Éd. Gallimard, 1961, p. 1121

الاقطاعيين ، او تحرّك العاميات الشعبية ، فضلاً عن معرفة دقائق الحياة الروحية والمادية للشعب (اللباس ، المأكل ، شؤون الزواج والعادات والزراعة والصناعة والتعليم والدين والطقوس ... الخ) .

واذا كنا قد أكّدنا على أهمية الارشيف الرسمي (الذي تملكه الدولة) ، فان الارشيفات الخاصة لها أهميتها هي الأخرى بالنسبة للمؤرّخ . فارشيفات الأديار ، والمدارس ، والبنوك ، والعطارين والبقّالين والدكنجية ، وارشيف التعاونيات وكتّاب العدل وارشيف الشخصيات المرموقة وملفات العائلات المتنوعة كلها مواد هامة للمؤرّخ .

ج) بعض التوصيات

انطلاقًا من أهمية الارشيف (الرسمي والخاص) بالنسبة للتأليف التاريخي والثقافة التربوية نطرح بعض النقاط كتوصيات يمكن ان يتّخذها المؤتمر :

١. ايلاء الارشيف ، من قبل السلطة ، أهمية قصوى .
٢. وضع موازنة سخية للمؤسسة المحفوظات الوطنية .
٣. استقطاب أوسع الكفاءات اللبنانية وتعيينها في هذه المؤسسة .
٤. تخصيص مئات الطلاب اللبنانيين ، خاصة في الخارج ، في علوم التوثيق وتقنيات الحفاظ على الوثائق والآلات المتطورة لاستعالها (التبويب ، النسخ ، التصوير ، التكبير ، استعمال العقول الالكترونية ... الخ) .
٥. المباشرة فورًا ببناء مركزي ، وأبنية أخرى لامركزية ، لحفظ الارشيف اللبناني . مع لحظ كل المستلزمات الضرورية في هذه الأبنية (ان لجهة الحرارة وما إليها ام لجهة مواجهة الحريق كالأبواب والباطون المضاد للنار الخ ...) .
٦. إصدار قانون جديد يسمح بموجبه للدولة مصادرة او تصوير كل الوثائق الموجودة بحوزة المؤسسات أو الأفراد ، والتي تعتبر هامة بالنسبة للتاريخ اللبناني .
٧. وضع خطة للتعرّف العام على أماكن وجود الوثائق المتعلّقة بتاريخ لبنان (والمنطقة المحيطة به لاحقًا) . وهذا يعني تحديد الأماكن مع معرفة أولية بما تحتوي هذه المراكز من وثائق متصلة بتاريخنا .
٨. التعرّف التفصيلي على هذه الوثائق مع وضع لوائح باسمائها .
٩. إمكانية اعتبار اسطنبول وروما وباريس ولندن ومدريد وفيينا وبرلين وبطرسبورج (لينينغراد) واثينا ودمشق وواشنطن – وربما غيرها – أماكن أساسية لتواجد الوثائق اللبنانية . وهذا يفترض أمرين على الأقل :
   – إرسال بعثات لبنانية دائمة لتصوير الوثائق على ميكروفيلمات ، حسب أولوية الاهتمام .
   – وضع اتفاقيات ثقافية مع الدول المعنية بهذا الصدد .

١٠. وضع فهارس تفصيلية للوثائق مع أماكن وجودها.

١١. وضع فهارس علمية، مع إمكانية طبع وتحقيق الوثائق على نحو علمي رصين وذلك ضمن خطة زمنية معيّنة.

١٢. طبع دليل بمحتويات المحفوظات الوطنية لمساعدة المؤرّخين.

١٣. طبع أكثر من دليل بمحتويات محفوظات بعض المراكز الهامة للوثائق (بكركي – المحاكم الشرعية الخ...).

١٤. القيام بترجمات منظمة (بعدة لغات) لكل ما يتعلّق بوثائق التاريخ اللبناني والعمل بالتنسيق مع الأونسكو.

١٥. إعطاء الأولوية لإعادة تنظيم المتحف الوطني «والإفراج» عن الوثائق والمخطوطات والميكروفيلمات الموجودة فيه.

١٦. إقامة اسبوع او شهر يسمى أسبوع او شهر الارشيف. (تطبع خلاله الطوابع البريدية، وتلقى المحاضرات وتستعمل وسائل الاعلام، كلها عن الارشيف).

حول دور الجامعة اللبنانية

١. يبادر أساتذة التاريخ في الجامعة اللبنانية الى إنشاء، «الجمعية التاريخية اللبنانية».

٢. يتمّ إنشاء مركز او مراكز للأبحاث التاريخية ملحقة بأقسام التاريخ. ويكون من مهاتها تأمين الوثائق والدراسات التاريخية لمختلف حقبات التاريخ اللبناني.

٣. إصدار مجلة او مجلات تاريخية عن هذه المراكزوالأقسام.

٤. تبادل الميكروفيلمات بين الجامعة اللبنانية وبقية الجامعات ومراكز الارشيف في لبنان وفي الخارج.

٥. وضع خطة تثقيف لطلاب الجامعة اللبنانية، ولباقي الطلاب في المراحل الجامعية والثانوية يكون من مهاتها تنمية حس الاحترام والحفاظ على الوثائق. ويمكن في هذا المجال استعال وسائل الاعلام (راديو وتلفزيون وصحف...) ويمكن استعال المحاضرات المباشرة وكذلك من المستحسن إشراك باقي قطاعات الشعب في هذه الحملة.

القسم الأول:

ارشيف «الكي دروسه» المتعلّق بتاريخ لبنان (١٩١٨ – ١٩٤٥)

يُعتبر ارشيف الكي دورسه Quai d'Orsay من أهم مراكز الارشيف في فرنسا. ففيه توجد التقارير الديبلوماسية التي تتشكّل من تقارير Rapports، وبرقيات Dépêches وملاحظات Notes. وهذه التقارير تعود الى العام ١٦٦٢، وهي منظمة عادةً بشكل مجلّدات Volumes، وعددها لا يقلّ عن ٢٠ ألف مجلّد[٧]. ويتضمّن هذا الارشيف ايضًا مجموعة كبيرة من المذكّرات، والوثائق، وهي تقارير مكتوبة من قبل أقسام الوزارة، وملفات[٨] قضايا مُرسلة بالبريد من قبل الدبلوماسيين، وأوراق بروتوكول وغيرها من مثل الارشيفات الخاصة لبعض قدماء وزراء الخارجية الفرنسيين.

والدخول الى هذا الارشيف يخضع لجملة شروط مطبوعة تسلم نسخة منها لجميع الذين يريدون البحث والتنقيب. منها ان يحمل الباحث اذنًا خاصًا من أستاذه، أو إفادة من الجامعة او مركز الأبحاث الذي يعمل فيه، مبرزًا هدفه من البحث، وبناءً على ذلك تتم الموافقة. ومنها ايضًا ان يرسل الباحث الى إدارة الارشيف نسخة عن كل دراسة قد يكتبها مستعملاً الوثائق التي اطّلع عليها الخ...

دوام العمل بين الساعة الثانية بعد الظهر والساعة السابعة مساء، ما عدا يوم السبت فالدوام بين العاشرة والواحدة بعد الظهر، ويوم الأحد عطلة.

بإمكان الباحث أن يطلب ٣ مجلّدات فقط كحدّ أقصى يوميًا، ويتم تسليمها في اليوم التالي.

إمكانية تصوير الوثائق مُتاحة، لكن من خلال شركة خاصة، فتقدّم إليها لائحة بالصفحات وأرقام المجلّدات التي توجد فيها هذه الصفحات، ويستغرق الأمر بعض الوقت[٩].

أما لجهة شكل الوثائق فهي في أغلبيتها الساحقة مسحوبة على الآلة الكاتبة، مما يسهّل القراءة. لكن ثمة بعض الرسائل الشخصية من الوزير او الموظفين او غيرهم يمكن قراءتها بصعوبة. كما هناك عرائض وملفات تتفاوت في أحجامها أغلبها مكتوب بخط اليد.

٧. Jean FAVIER, *op. cit.*, p. 99

٨. بالنسبة للأرشيف المتعلّق بلبنان ١٩١٨ – ١٩٤٥، يوجد آلاف العرائض والمذكّرات والبيانات السياسية والكراسات وقصاصات الصحف والكتيبات التي تعكس مختلف النشاطات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والتربوية وغيرها...

٩. ان مسألة التصوير في مركز الأرشيف الانجليزي (Public Record Office) هي اكثر سرعة، وطلب الوثائق كذلك يتمّ بدقائق بسبب الاستعانة بالعقل الالكتروني.

توجد المحفوظات المتعلّقة بتاريخ لبنان (١٩١٨ – ١٩٤٥)، والتي اطّلعت عليها[١٠]، تحت ستة عناوين:

١. *Archives diplomatiques, E – Levant 1918-1929*. Sous-série: Syrie-Liban-Cilicie
٢. *E — Levant*. Sous-série: Syrie-Liban (1930-1940)
٣. *Guerre 1939-1945*. Sous-série: Alger C.F.L.N.-G.P.R.F.
٤. *Guerre 1939-1945*. Sous-série: Londres C.N.F.
٥. *Arabie 1918-1920*
٦. *Série Y. International*

سأحاول، قدر الإمكان، أن أعرض المواضيع العامة التي تتضمّنها هذه العناوين، مع ذكر أرقام المجلدات التي تحتوي التفاصيل.

١ و ٢ *E – Levant 1918-1940*

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– الأمور السياسية العامة (من ١٧ شباط ١٩١٨ الى ٣٠ تموز ١٩٢٢)	من ١ الى ٤٠
– العرائض	من ٤٢ الى ٤٥ + ٢٦٥
– وثائق سياسية مطبوعة	٤٦
– الحكومات وتنظيمها الإداري	٤٧A + ٤٧B + من ٥٠ الى ٥٥
– التمثيل الدبلوماسي	من ٤٨ الى ٤٩ + من ١٥٣ الى ١٥٦ + من ٤٤٠ الى ٤٤٨
– الصحافة	من ٥٦ الى ٥٨ + من ٢٨٦ الى ٢٩٦ + من ٥٢٥ الى ٥٣٩
– الاقتصاد والمال:	
الوضع الاقتصادي العام	من ٦٠ الى ٦١ + ٣١٣
الوضع المالي العام	من ٦٢ الى ٦٦ + من ٧١ الى ٧٢ + من ٣١٥ الى ٣١٨
الضرائب	من ٥٤٨ الى ٥٥٣
الموازنة	من ٦٧ الى ٧٠ + من ٣٢٤ الى ٣٢٩ + من ٥٥٤ الى ٥٥٨

١٠. ربما يكون هناك محفوظات، متعلّقة بتاريخ لبنان في هذه الفترة، ولم اتمكن من الاطلاع عليها.

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
الجمارك	٧٣ + من ٣٣٢ الى ٣٣٨ + من ٥٦٠ الى ٥٦٥
الزراعة	من ٧٥ الى ٧٦ + من ٣٣٩ الى ٣٤٠ + ٥٦٠
التجارة	من ٧٨ الى ٧٩ + من ٣٤١ الى ٣٤٢ + ٥٦٧ الى ٥٧٢
المعارض	٨٠ + من ٥٧٣ الى ٥٧٥
الصناعة	٨١ + من ٥٧٦ الى ٥٧٧
المناجم	٨٢ + ٣٤٣
البترول	٣٤٤
مسائل التبغ	٣٢٠
مسائل الديون	من ٣٢٢ الى ٣٢٣
البنوك	من ٣٣٠ الى ٣٣١
الترامواي والكهرباء	٣٥١
الغاز والمياه	٣٥٣
– الاشغال العامة	من ٨٣ الى ٨٤ + ٣٤٥ + من ٥٧٨ الى ٥٨٠
– طرق ووسائل الاتصال:	٣٥٨
سكك الحديد والطرق	من ٨٥ الى ٩١ + من ٣٦٢ الى ٣٦٤ + ٥٨٨
الملاحة البحرية	من ٩٢ الى ٩٣ + ٣٦٨
البريد والهاتف والتلغراف	من ٩٤ الى ٩٧ + من ٣٦٩ الى ٣٧٢ + من ٥٩٣ الى ٥٩٤
المرافئ	٣٥٥ + من ٥٨١ الى ٥٨٧
الطيران	من ٣٥٩ الى ٣٦٠ + من ٥٨٩ الى ٥٩٢
مطبوعات	٣٦١
– العدلية	من ٣٧٣ الى ٣٧٧ + من ٥٩٥ الى ٥٩٩ + من ٩٨ الى ١٠٢
– التربية	من ١٠٣ الى ١٠٥ + من ٣٧٨ الى ٣٧٩ + من ٦٠٠ الى ٦٠١
– الآثار	١٠٦ + ٣٨٠

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– الصحة	من ١٠٧ الى ١٠٨ + من ٣٨٢ الى ٣٨٧ + من ٦٠٣ الى ٦٠٤
– قضايا متنوعة (سياسية ، ادارية ، تجارية ، ثقافية ودينية)	١٠٩ + ٢٦٠ + من ٣٨٨ الى ٣٩٢ + من ٤١٥ الى ٤٢٣ + ٤٢٦ + من ٦٢٥ الى ٦٢٨
– الباسبورات	١١١ + ٣١٠ + من ٥٤٤ الى ٥٤٧
– الجيش والنواحي العسكرية	من ١١٢ الى ١٢٤ + من ٢٣٣ الى ٢٤٢+ من ٢٨٠ الى ٢٨٥ + من ٥٢١ الى ٥٢٤
الرقابة البحرية	من ٦٣٢ الى ٦٣٥
الأوسمة العسكرية	من ٤٤٩ الى ٤٥٤
– أوضاع الدول	من ١٢٥ الى ١٢٧ + من ٢٤٣ الى ٢٥١+ من ٢٥٦ الى ٢٥٨ + من ٢٦٢ الى ٢٦٤
– الجاليات اللبنانية–السورية في الخارج	من ١٢٨ الى ١٣٢ + من ٣٩٥ الى ٤٠٠
– الصحافة الفرنسية والمسألة السورية	من ١٣٣ الى ١٣٤ + من ٥٤٠ الى ٥٤٢
– السياسة الخارجية للمفوضية العليا	من ١٦٠ الى ١٨٩ + من ٤٥٥ الى ٤٦١
– السياسة الداخلية للمفوضية العليا	من ١٩٠ الى ٢٠٧
– الدعاية الفرنسية والدعاية ضد الانتداب الفرنسي	من ٢٠٨ الى ٢١٦ + ٢٩٧ + ٥٤٣
– اعداد دساتير الدول الواقعة تحت الانتداب	من ٢١٧ الى ٢٢٧
– تقارير المفوضية الفرنسية الى عصبة الامم عن الأوضاع في سوريا ولبنان	من ٢٢٨ الى ٢٣٢ + من ٥٠٥ الى ٥٠٧
– الاتفاقات الدولية المطبقة في مناطق الانتداب	من ٢٥٣ الى ٢٥٤
– تقارير عن القبائل والبدو الرحل في مناطق الانتداب	٦٣٦
– اعمال المساحة	٢٥٥
– المصالح المشتركة	٢٥٩
– المسائل الدينية (الأوقاف، المراجع الاسلامية، البطريركيات المسيحية)	من ٢٧١ الى ٢٧٩ + من ٥٠٨ الى ٥٢٠
– مسائل الحدود	من ٢٩٨ الى ٣٠٩ + من ٤٦٢ الى ٥٠٤

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– طلبات خاصة	٣١١
– مسائل متنوعة	٣١٢
– تقارير المخابرات	من ٤٢٧ الى ٤٣٥ + من ٦٢٩ الى ٦٣١
– الفرنسيون في سوريا ولبنان	من ٦٠٥ الى ٦٠٦
– اللبنانيون والسوريون في فرنسا	٦٠٢ + من ٦٠٧ الى ٦١٣
– مسائل الجنسية والحماية	من ٤٠١ الى ٤١٤ + من ٦١٤ الى ٦٢٤
– المفوضية العليا :	
سلطات المفوض السامي	من ١٤٧ الى ١٥٠
الموظفون الفرنسيون في دول الانتداب	١٥١
مندوب المفوضية في باريس	١٥٢ + ٤٣٩
الجريدة الرسمية للمفوضية العليا	٤٢٤
تقارير دورية عن نشاطات اجهزة المفوضية العليا	٤٢٥

٣. *Guerre 1939-1945*, Londres C.N.F.

– ابرز الاحداث السياسية في سوريا ولبنان (تموز ١٩٤٠ + تموز ١٩٤٣)	من ٣٩ الى ٤٠
– مشاريع الاتفاقات الفرنسية – الانجليزية حول المشرق (تموز ١٩٤١ – ك٢. ٤٣)	٤٣
– العلاقات الفرنسية – البريطانية في المشرق بعد الاتفاق (ك١ ١٩٤٢ – ت ٢ ٤٣)	٤٤
– السياسة الاميركية في المشرق (ايلول ١٩٤١ – حزيران ١٩٤٣)	٤٥
– امور متعلّقة بشخص المندوب العام (آب ١٩٤١ – تموز ١٩٤٣)	٤٦
– العلاقات الديبلوماسية (ايلول ١٩٤١ – ايار ١٩٤٣)	٤٧
– تقارير عن نشاط اجهزة المفوضية (١٩٤٢ – ١٩٤٣)	٤٨
– الصحافة والاعلام (آذار ١٩٤١ – ٤٣)	من ٤٩ الى ٥٠

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– مسائل عسكرية (ت ٢. ١٩٤٠ – ت ٢. ١٩٤٣)	٥١
– مسائل دينية (٢ آب ١٩٤١ – ٢٤ ايار ١٩٤٣)	٥٢
– مسائل حقوقية (٢٥ نيسان ١٩٤١ – ١١ آب ١٩٤٣)	٥٣
– مسائل اقتصادية (ك ٢. ١٩٤١ – تموز ٤٣)	من ٥٤ الى ٦٠
– ملف لمختلف الشخصيات اللبنانية والسورية (١٩٤٢ – ١٩٤٣)	
من A الى L	٦١
من M الى Z	٦٢
– الجاليات اللبنانية في الخارج (ت ١. ١٩٤٠ – حزيران ١٩٤٣)	من ٦٣ الى ٦٥

٤. *Guerre 1939-1945*, Alger C.F.L.N.-G.P.R.F.

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
– الازمة اللبنانية (٢ آذار ١٩٤٣ – ٣٠ ت ١. ١٩٤٤) واصداءها الخارجية – الاتفاقات والعلاقات مع الحلفاء	من ٩٩٩ الى ١٠٠٣
أ) الانتخابات في سوريا ولبنان (آذار – ت ٢. ١٩٤٣)	١٠٠٤
ب) الصدامات اللبنانية (آب – ت ٢. ١٩٤٣)	١٠٠٥
ج) مسألة يوسف كرم (ك ١. ١٩٤٣ – آب ١٩٤٤)	١٠٠٦
د) معلومات عن رجالات السياسة السوريين واللبنانيين	١٠٠٧
هـ) مفاوضات مع السلطات الاسلامية (ت ٢. ١٩٤٣ – آب ١٩٤٤)	١٠٠٨
– الصحافة والاعلام:	
الاعلام السياسي (حزيران ١٩٤٣ – آب ١٩٤٤)	١٠٠٩

المواضيع العامة	أرقام المجلدات
الصحافة الاجنبية واحداث المشرق (ت ٢. ١٩٤٣ – ك ٢. ١٩٤٤)	من ١٠١٠ الى ١٠١١
الصحافة والمجلات اللبنانية (آب ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	من ١٠١٢ الى ١٠١٥
– القضايا المالية: (بما فيها بنك الاصدار ومصارفات سلطات الانتداب والموازنة) (آب ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	من ١٠١٦ الى ١٠١٧
– القضايا العسكرية (آب ١٩٤٣ – ك ١. ١٩٤٤)	من ١٠١٨ الى ١٠١٩
– القضايا الحقوقية (ك ٢. ١٩٤٣ – ت ١. ١٩٤٤)	١٠٢٠
– المسائل الدينية (ك ١. ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	١٠٢١
– المسائل المتعلّقة بالتبادل الديبلوماسي (شباط – آب ١٩٤٤)	١٠٢٢
– المسائل الاقتصادية بما فيها البترول والزراعة والاستيراد (حزيران ٤٣ – ايلول ٤٤)	من ١٠٢٣ الى ١٠٢٥
– الأوراق الخاصة للمندوب العام الفرنسي (ك ٢. ١٩٤٣ – ت ١. ١٩٤٤)	من ١٠٢٦ الى ١٠٢٧
– الجاليات اللبنانية والسورية في الخارج (نيسان ١٩٤٣ – ١٩٤٤)	١٠٢٨
– مآثر الفرنسيين في المشرق (تموز ١٩٤٣ – ايلول ١٩٤٤)	١٠٢٩
– رصد حركة القومية العربية (شباط ١٩٤٣ – ت ٢. ١٩٤٤)	من ١٠٣٠ الى ١٠٣٢
– سياسيات الدول الكبرى (آذار ١٩٤٣ – ك ١. ١٩٤٤)	١٠٣٤

٥. *Arabie 1918-1920*

تحت هذا العنوان توجد أغلب الوثائق المتعلّقة بالشريف حسين وولده فيصل، ويمكن للباحث، خاصة في المجلدات الأولى، ان نجد الكثير من الأمور المتعلّقة بسياسة فيصل ازاء لبنان.

٦. *Série Y. International*

يمكن للباحث ان يجد المداولات والمؤتمرات الدولية التي عقدها الحلفاء للبحث في مستقبل تركيا ، ومن ضمنها المسألة السورية ، وذلك في اطار مؤتمر الصلح. فعلى سبيل المثال مداولات مؤتمر سان ريمو توجد خاصة في المجلدات ٦٦٩ الى ٦٧١ .

انطلاقًا من هذا الثبت العام بأهمّ العناوين التي يتضمنها ارشيف الكي دورسه ، بالنسبة لفترة الانتداب في سوريا ولبنان، نطرح السؤال :

ما هي الاهمية لهذه الوثائق في كتابة تاريخ لبنان المعاصر؟

لا شك ان قيمتها لا تقدّر بثمن ، فهي تساعدنا على عدة مستويات ، في الكتابة التاريخية :

- تساعدنا في معرفة تسلسل الأحداث والوقائع .
- وتساعدنا في دراسة المؤسسات السياسية (كالحكومة ، والبرلمان والأحزاب والجمعيات والدساتير) .
- وتشكّل منجمًا لا ينضب للتاريخ الاقتصادي (الضرائب ، الموازنة ، الزراعة والصناعة والتجارة ، والمواصلات ، الجمارك ، والأوضاع المالية ...) .
- كما تساعد في كتابة التاريخ العسكري (تقارير عن العمليات الحربية والأسلحة وما اليها ...) .
- وفيها العديد من العناصر المسهلة لكتابة التاريخ الديني وتطور المؤسسات الدينية (أوقاف ، طقوس ، شخصيات دينية ، معلومات عن الطوائف...) .
- وثمة ملفات شبه متكاملة عن تاريخ الصحافة بمختلف تياراتها ، وكذلك عن التاريخ الثقافي وبخاصة تطور المؤسسات التربوية .
- وهناك معلومات ، قلّما توجد في مكان آخر ، عن العلاقات الدولية ومسائل الحدود والاتفاقيات الدولية حول لبنان والمنطقة .
- كما هناك تقارير تساعد في التاريخ الاجتماعي للبنان وبخاصة التاريخ الديمغرافي .
- حتى ان هذه الوثائق تساعدنا في كتابة تاريخنا القديم من خلال تقارير الاكتشافات الاثرية ، وكذلك ثمة معلومات في مجال التاريخ الطبيعي .
- وتساعدنا هذه الوثائق في دراسة تاريخ الادارة والقضاء ، وكذلك مسائل الملكية وما اليها .

بالاضافة الى هذه الأمور تقدّم لنا وثائق ارشيف الكي دورسه خدمات جلّى في الدراسات الانتروبولوجية والجغرافية والسياسية ومختلف المجالات الثقافية بمفهومها الواسع .

اذا كانت اشادتنا عميقة باهمية هذا الارشيف كمصدر بالغ الغنى لكتابة تاريخ لبنان المعاصر ، فهذا لا يعني اعفاء المؤرّخ من استعمال كافة تقنيات النقد التاريخي التي تبرزها الكتب المعروفة في هذا المجال[11] ، وخاصة الحرص على عدم اخذ كل ما يرد في جميع التقارير الديبلوماسية كحقائق راهنة .

---

١١. *L'Histoire et ses méthodes*, Encyclopédie de la Pléiade, Éd. Gallimard, 1961,

القسم الثاني[12]

مدخل الى أهمّ الجمعيات والاحزاب السياسية والحركات في لبنان (١٩١٨ - ١٩٢٠) من خلال ارشيف الكي دورسه

سنحاول ، في هذا القسم من بحثنا ، ان نستعمل بعض وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لعرض البرامج التي وضعتها ، والتحركات التي قامت بها ، بعض التيارات اللبنانية[13] في المهاجر خاصة ، بالنسبة لمستقبل لبنان وعلاقته بمحيطه .

ولكن قبل ذلك نرى من الضروري التوقّف عند جملة ملاحظات :

١. ان اقتصارنا على عرض برامج ونشاط هذه الأحزاب والحركات لا يعني عدم وجود قوى سياسية اخرى ، وربما تكون هامة ايضًا .

٢. لم نتطرق تقريبًا الى برامج وتحركات فيصل والاحزاب المؤيّدة له ، ومجلس الادارة اللبناني ، والوفود اللبنانية الثلاثة التي ارسلت الى باريس ، باعتبار ان هذه القضايا قد استقطبت من اهتمام أغلب الباحثين ما كاد يطمس دور القوى الأخرى .

٣. حاولنا ان نقوم بعرض عام لبرامج هذه القوى وبعض أهم تحركاتها ، ولم ندخل في تحليل بناها الاجتماعية ، ولا في جذور ايديولوجياتها ، والتأثير الناتج عنها على القوى والأحزاب التي تتالت بعدها .

٤. لم ندخل ، بالعمق اللازم ، في مجال تحليل السياسات الفرنسية والانجليزية وتأثيراتها على هذه القوى . وربما يكون لنا عودة الى هذا الموضوع لاحقًا .

٥. ان انتقاءنا للتيارات ذات التوجّه السوري او التوجّه اللبناني ، لا يعني عدم وجود تيارات اخرى ذات توجّهات مختلفة خاصة دينية او عروبية .

٦. حاولنا قدر الامكان الاعتماد على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية لعرض المعلومات عن هذه التيارات ، علمًا ان ثمة دراسات وكتب (حول هذه التيارات) ، فيها العديد من الأمور الهامة والتي لم نذكرها . فنحن لا نطمح الى ايفاء كل من هذه الحركات حقّها من الاحاطة

---

p. 1247-1389 (surtout les faux dans les archives et les bibliothèques, p. 1367-1389)

المدخل الى الدراسات التاريخية ، تأليف لانجلوا وسنيوبوس ، ترجمة عبدالرحمن بدوي . ط ٣ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٧ ، ص ٥١ - ١٦٤ .

Henri-Irénée Marrou, *De la connaissance historique*, Éd. du Seuil, 1975, p. 117-140

١٢. **ملاحظة بالنسبة للهوامش اللاحقة** : سنستعمل في القسم الثاني من هذه الدراسة مصطلح (A.E.) اختصارًا لـ : Archives du Ministère des Affaires Étrangères, *E – Levant*, Syrie-Liban-Cilicie وكذلك .V اختصارًا لـ : Volume

١٣. لقد شارك العديد من غير اللبنانيين في نشاط هذه التيارات .

والدرس ، بل ان همّنا يقتصر على اعطاء عينات تطبيقية عن كيفية مساعدة ارشيف الكي دورسه لنا في استخراج المعلومات – الجديدة على ما اعتقد – في موضوع كتابة تاريخ الفكر السياسي اللبناني ، وتطور ايديولوجيات بعض النخب من مختلف الطوائف ، في فترة تاريخية محدّدة ، وبالنسبة لموضوع تاريخي محدّد.

يتضمّن هذا القسم من الدراسة نقطتان :
اولاً : التيارات ذات التوجّه السوري.
ثانيًا : التيارات ذات التوجّه اللبناني.

اولاً : بعض التيارات ذات التوجّه السوري

من المسلّم به ، عند أغلب الباحثين ، ان الأمير فيصل بما يمثّل من قوى متشعبة مؤيّدة له ، كان هو صاحب المشروع الأساسي الداعي الى وحدة سوريا في الفترة الواقعة بين ١٩١٨ – ١٩٢٠ . لكن من خلال وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يبرز ان ثمّة تيارات أخرى كان لها مشروعها في وحدة سوريا ولكن على أسس وتصورات مغايرة نسبيًا لمشروع الامير فيصل.

أبرز هذه التيارات ثلاثة :
- اللجنة المركزية السورية.
- حزب الاتحاد السوري.
- جمعية سوريا الجديدة الوطنية.

I. اللجنة المركزية السورية Le Comité Central Syrien

كانت بوادر الصراع بين الانجليز والفرنسيين قد بدأت تظهر حول تطبيق اتفاقية سايكس – بيكو ، وكان هم حل المسألة السورية ، على نحو يتّفق مع مصالح الهيمنة الفرنسية ، قد أخذ يطرح نفسه بالحاح على الأوساط النافذة في وزارة الخارجية الفرنسية . وانطلاقًا من اهمية الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة في رسم معالم السياسة الفرنسية ، كان من البديهي ان يتمّ العمل على انشاء حزب سياسي يعكس في المهاجر ، وفي «سوريا» مصالح هذه القوى الاقتصادية . وهكذا تم اختيار شكري غانم[١٤] للقيام بمهمة ترؤس «اللجنة المركزية السورية».

---

١٤. وُلد في بيروت وتعلّم في مدرسة عينطورة . سافر الى مصر حيث عمل في وزارة الأشغال العامة ، ثم انتقل الى تونس حيث عمل في خدمة الحكومة التونسية . بعدها رحل الى باريس حيث اهتم بالثقافة . اصدر على التوالي : *Antar, Daad, Tamerlan, Ronces et fleurs* الأمر الذي اعطاه مكانة مرموقة بين كبار الادباء

١. أهداف هذه اللجنة

بالرغم من ان اللجنة المركزية السورية قد أعلنت برنامجًا مطولاً لها عند قيامها قبيل انتهاء الحرب العالمية الأولى[١٥] إلاّ ان الأهداف الحقيقية لها كانت :
- ضم المهاجرين (السوريين واللبنانيين) الى فرق الشرق.
- بث الدعاية (المؤيّدة لفرنسا) في الأوساط السورية بأميركا.
- العمل لوحدة السوريين الموجودين في اوروبا واميركا ومصر بغض النظر عن العرق والدين[١٦].
- تأمين الوحدة السورية[١٧].
- ضرورة تنظيم سوريا تبعًا لارادة أهلها ، اي ضمن نظام فدرالي ديمقراطي ، الأمر الذي يؤمّن وحدة مصالح كافة الأطراف ، وبخاصة تحقيق استقلال داخلي لمختلف المقاطعات بما فيها كيليكيا وفلسطين[١٨].
- مساعدة الصديقة فرنسا من خلال وصايتها على كامل سوريا[١٩].

٢. القوى الفرنسية الداعمة لهذه اللجنة

ما يلفت نظر الباحث في وثائق وزارة الخارجية الفرنسية كثافة المذكّرات والدراسات المقدّمة من الجمعيات الجغرافية والاستعمارية ، ومن غرف التجارة والخبراء الاقتصاديين . وكلها تركّز على أهمية «المسألة السورية» بالنسبة للمصالح العليا لفرنسا . والخط العام الذي يستشف من هذه المذكرات والدراسات هو التشدّد في السيطرة الفرنسية على كامل المناطق التي تمّ اقتسامها في اتفاقية سايكس – بيكو ، بل والمطالبة – في بعض الأحيان – بالسيطرة على فلسطين ايضًا.

أ) مطالب الجمعيات الاستعمارية

في كانون الأول ١٩١٨ قدّم نائب رئيس جمعية الدراسات الاستعمارية والبحرية

الفرنسيين. وقد كان لاخيه خليل الدور الهام في تعريفه على اوساط الصحافة. فأخذ يكتب فيها. وعام ١٩١٢ ترأس اللجنة اللبنانية في باريس ، وانتخب عام ١٩١٣ نائبًا لرئيس المؤتمر العربي الذي عُقد في العاصمة الفرنسية . وبالرغم من التوجّه السوري لغانم بين ١٩١٨ – ١٩٢٠ فانه عاد وأصبح من مؤيّدي لبنان الكبير وقد لعب دورًا بارزًا في حمل العديد من المسؤولين الفرنسيين الكبار على ضم البقاع وطرابلس وبيروت الى الدولة اللبنانية.

١٥. نص برنامج اللجنة : A.E., V. 9, p. 161

١٦. A.E., V. 2, p. 253 (12 oct. 1918)

١٧. A.E., V. 6, p. 184-185 (28 déc. 1918)

١٨. A.E., V. 6, p. 158 (29 déc. 1918)

١٩. A.E., V. 5, p. 56 (27 nov. 1918) et V. 6, p. 159-160 (17 déc.1918)

M. Paul Bourdarie تقريرًا[20] حول «المسألة السورية» نقتطف منه بعض المقاطع :

«ان الجمعية تعتبر أن الإشراف على كامل سوريا بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين – مع الأماكن المقدّسة – هو أمر ينسجم مع المصالح الفرنسية ، ويؤمّن لفرنسا موقعها كدولة كبرى إسلامية وعربية …

… وان الجمعية تدين إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين لأنها لا ترى كيف يمكن ربط فكرة القومية بالفكرة الدينية . ان هذا الأمر يبدو مناقضًا لكل الأفكار السياسية الحديثة ، وخاصة يبدو مغايرًا للسياسة التي تتبعها فرنسا بالنسبة لمسلمي أفريقيا الشمالية» .

وبعد أن يتطرّق التقرير لإبراز أهمية سوريا كمصدر لاستيراد القطن للصناعة الفرنسية التي تشغّل ما يزيد على ٤٠٠ ألف عامل ، تقترح الجمعية الاستعمارية «في إطار مبدأ القوميات ، أن يصبح لبنان وسوريا وفلسطين دولة فدرالية ، مستقلّة وحرة وتحت وصاية فرنسا» .

ثم تتطرّق المذكّرة للجوانب الدينية فتشير «الى انه من مجموع عدد السكان الذي يبلغ ٣,٥٥٠,٠٠٠ نسمة ، هناك ١,٩٠٠,٠٠ عربي مسلم ، و١,١٠٠,٠٠٠ عربي مسيحي ، ١٥٠,٠٠٠ يهودي ، ١٧٠,٠٠٠ درزي ، ١٢٠,٠٠٠ نصيري ، ٥٠,٠٠٠ اورثوذكس[21] ، ١٠,٠٠٠ اسماعيلي ، و٥٠,٠٠٠ من فئات مختلفة» .

وتحذّر المذكّرة من الأخطار التي ستُصاب بها المصالح الفرنسية اذا ما تدخلت في الصراعات الدينية في منطقة يطغي فيها التعصّب الديني على كل شيء» .

وتضيف «بأن الانقسامات الدينية لا تسمح لسوريا بأن تكون قادرة على حكم نفسها بنفسها ضمن نظام جمهوري . ولا يوجد بالتالي أمير سوري يفي بالمقام ، وحتى اذا أردنا الاستعانة بأحد أحفاد أسرة عبد القادر الجزائري ، فان ذلك يثير حتمًا صراعًا بين العصبيات القبلية .

من هنا يبدو من المفضّل تعيين أمير مسيحي على لبنان وأمير مسلم على سوريا …

… ان سوريا الفدرالية ستتمتع «بحرية موجّهة» «وباستقلال محمي» . سترتبط بفرنسا برباط «التبعية المستمرة» «والوصاية المعنوية» .

والشروط الجوهرية لهذا الارتباط ستكون :

– أمير من أصل فرنسي .
– معاهدة تحالف مستمرة .
– معاهدة تجارة خاصة .
– حصر الواردات من فرنسا بالدولة السورية في مجال الأشغال العامة والتسلّح .
– عدم قدرة الحكومة السورية بالتعاقد لشراء أية سلعة إلاّ برضى فرنسا» .

٢٠. A.E., V. 5, p. 156-166

٢١. ربما يقصد سريان ارثوذكس وليس الروم الأرثوذكس.

وفي تقرير آخر[22] للجمعية نفسها تأكيد على أن «البحر المتوسط هو محور السياسة الفرنسية . في الغرب تقع المغرب والجزائر وتونس كطرف لهذا المحور ، والطرف الشرقي يجب أن يكون سوريا ولبنان وفلسطين» .

وفي ١٦ نيسان ١٩١٩ يعتبر مجلس الجمعية[23] مجتمعًا برئاسة نائب الأميرال Besson ، ان لسوريا حدودًا تمتدّ من طوروس الى حدود مصر ومن البحر الى الفرات ، وان تجزئتها في اتفاقية سايكس – بيكو هو خطأ ، وتطلب تخطي هذا الخطأ وتوحيد سوريا تحت الوصاية الفرنسية .

وفي شهر نيسان ١٩١٩ يؤكّد Edouard Cheignon [24] قاضي وأستاذ للتجارة في جامعة نانت ، على أهمية سورية في المجالات التجارية والصناعية خاصة الصناعات التحويلية ، ومواد سكك الحديد ، والسيارات ، والمواد الزراعية المصنّعة والمنسوجات ، والحلويات ، والصناعات الكهربائية .

وثمة جملة مذكّرات من جمعية الدراسات الاستعمارية تشدّد باستمرار على ضرورة بسط الوصاية الفرنسية على دولة فدرالية تضم لبنان وسوريا وفلسطين[25] ؛ حتى ان هذه الجمعية ، في جلستها المنعقدة في ١١ تموز ١٩١٩[26] أكّدت على ضرورة سيطرة فرنسا على سوريا بما فيها كيليكيا وفلسطين وشمال العراق وكردستان .

أما جمعية الدراسات الجغرافية والاستعمارية في مرسيليا فقد قدّمت الى وزير الخارجية مذكّرة (في ١٩ نيسان ١٩١٩) جاء فيها[27] :

ان جمعية الدراسات الجغرافية والاستعمارية في مرسيليا مؤكّدة من جديد الأماني التي عبّر عنها من خلال المؤتمر الفرنسي حول سوريا والذي عُقد في مرسيليا ، وآخذة بعين الاعتبار الأحداث التي تشكّل آسيا الصغرى مسرحًا لها ،

تتقدّم بالمطالب التالية :

١. رفض كل تفكير يريد أن يبعد الى أجل غير مسمّى الوصول الى حل للمسائل السورية والأرمنية وغيرها .
٢. البتّ بمسألة الانتدابات ، التي أقرّها مؤتمر الصلح ، وذلك في أقرب فرصة ممكنة .
٣. أن تصبح سوريا ، بكامل وحدتها وأراضيها المعروفة بحدودها الطبيعية والتاريخية دولة فدرالية مشكّلة من مناطق ذات استقلال ذاتي ، وذلك تحت وصاية فرنسا .

٢٢. A.E., V. 3, p. 73 (18 oct. 1918)

٢٣. A.E., V. 12, p. 59-63

٢٤. A.E., V. 13, p. 83

٢٥. A.E., V. 4, p. 184 et p. 39-40 et p. 135 et p. 155-156

٢٦. A.E., V. 14, p. 228

٢٧. A.E., V. 12, p. 48

على صعيد آخر ثمة تقارير مختلفة تشدّد على المصالح الفرنسية المختلفة في المنطقة وبخاصة المدارس الفرنسية التي تخرّج سنويًا ما يزيد على ٤ – ٥ آلاف تلميذ متيحة لهم الاطّلاع على الثقافة الغربية. وهناك العديد من المستشفيات الفرنسية وشبكة من سكك الحديد (تزيد على ١٢٣٣ كلم). هذا بالإضافة الى مياه بيروت وغازها وتراماواي وكهرباء هذه المدينة وهي كلها بيد شركات فرنسية. هذا بالإضافة الى مزرعة تعنايل ونبيذ كساره، ومعمل للأدوية وآخر لإنتاج العطور. مع العلم ايضًا ان بيروت كانت تصدّر الى ليون ٤٥٠ ألف كيلو من خيوط الحرير[٢٨].

ب) مطالب غرف التجارة:

منذ انتصار قوات الحلفاء على القوات العثمانية، أخذت غرف التجارة الفرنسية بالتحرّك. في ٢١ تشرين الأول ١٩١٨ حيّت غرفة تجارة مرسيليا[٢٩] دخول البحرية الفرنسية مرفأ بيروت وطالبت بحفظ الحقوق التاريخية للغرفة في سوريا. وبعد شهر تقريبًا طالبت الغرفة نفسها[٣٠] بترسيخ نفوذ فرنسا في كل سوريا.

وفي ٢ كانون الأول ١٩١٨ تحتج الغرفة[٣١] على اقتصار السيطرة الفرنسية على الشاطئ فقط وتطالب بالتوسّع نحو كامل «سورية الطبيعية». ويدعو Adrien Artaud رئيس الغرفة، رئيس الجمهورية الفرنسية لرعاية المؤتمر الذي سيُعقد في ٣ و٤ و٥ كانون الثاني ١٩١٩ حول سوريا[٣٢]. وفي ٢٥ حزيران ١٩١٩ تقدّم غرفة مرسيليا تقريرًا[٣٣] الى وزير الخارجية مشدّدة فيه على ضرورة السيطرة على كيليكيا، لأهميتها في زراعة القطن، وتحتج على تراجع فرنسا عن فلسطين والموصل الأمر الذي لا يبقي سوى لبنان الصغير تحت النفوذ الفرنسي. كما طالبت الغرفة في التقرير عينه من وزارة الخارجية مساعدتها في طبع كراريس المؤتمر الذي عُقد حول سوريا.

أما غرفة تجارة Béziers في باريس فتطالب برفض اتفاق ١٩١٦ وبتوسيع المساحة الملحقة مباشرة بالنفوذ الفرنسي في سوريا[٣٤].

وغرفة تجارة Mende برئاسة Caussignac[٣٥] تشدّد على المصالح الفرنسية في كامل سورية الطبيعية، وتؤكّد على عدم التراجع عن حصة فرنسا في اتفاق ١٩١٦ كحدّ أدنى.

---

٢٨. A.E., V. 8, p. 231 (14 janv. 1919)
٢٩. A.E., V. 3, p. 47 et p. 88
٣٠. A.E., V. 5, p. 75
٣١. A.E., V. 5, p. 126
٣٢. A.E., V. 6, p. 121 (24 déc. 1918)
٣٣. A.E., V. 14, p. 45
٣٤. A.E., V. 4, p. 230-232 (19 nov. 1918)
٣٥. A.E., V. 6, p. 190 (19 déc. 1918)

وغرفة تجارة Beaune تطالب بوحدة سوريا الطبيعية واستقلالها ووضعها تحت الانتداب الفرنسي (٢٧ آذار ١٩١٩)[٣٦].

أما الجمعية الجغرافية الملحقة بالغرفة التجارية لـ Nantes فقد طالبت بكل سوريا وجزء من تركيا (٣ ايار ١٩١٩)[٣٧] ثم تقدّم غرفة تجارة Rennes احتجاجًا متشدّدًا على عدم تحقيق مطالب فرنسا في مؤتمر الصلح[٣٨].

ومن جهتها تطالب غرفة تجارة Rouen بترسيخ نفوذ فرنسا في كامل سوريا[٣٩] وغرفة تجارة ليون تطالب الحكومة باحتلال المدن الأساسية (حلب ودمشق والموصل)، وتشجب سيطرة الانجليز على مرافئ عكا وحيفا وكذلك سكة الحديد[٤٠]، وتذكّر بضرورة إصلاح الطرق السورية والمرافئ لتسهيل التجارة.

ثم ان غرفة تجارة Roubaix التي يرأسها Georges Motte فقد طالبت بضمّ كل سوريا الى النفوذ الفرنسي بسبب المصالح الفرنسية الموجودة فيها، وتعني بسوريا ولايات الموصل، دير الزور، الاسكندرونة، حلب، بيروت، دمشق، وأيضًا فلسطين ولبنان[٤١].

وغرفة تجارة Saumur (Maine et Loire) تطالب بالحفاظ على المصالح الفرنسية في سوريا[٤٢].

وفي مهرجان أُقيم في اوتيل Des Sociétés Savantes شارك فيه خطباء سوريون وفرنسيون، تم التأكيد على أن لسوريا الحق بأن تصبح أمّة مستقلة ضمن حدودها التاريخية، دون تفتيت ودون استعباد، وان يكون لفرنسا وحدها حق الانتداب عليها. ووقّع على البيان ١٣ جمعية من مختلف القطاعات[٤٣].

ماذا يمكن ان نستنتج من مجمل هذه الطروحات للفعاليات الاقتصادية والاستعمارية الفرنسية؟

– ان لفرنسا مصالح اقتصادية واستراتيجية جوهرية في شرق المتوسط[٤٤].

---

٣٦. A.E., V. 11, p. 116
٣٧. A.E., V. 12, p. 220
٣٨. A.E., V. 13, p. 84
٣٩. A.E., V. 5, p. 99 (30 nov. 1918)
٤٠. A.E., V. 3, p. 192
٤١. A.E., V. 15, p. 125-126 (18 juin 1919)
– علمًا انه لم يكن هناك ولاية باسم لبنان او فلسطين، وإنما كان هناك متصرفية جبل لبنان ومتصرفية القدس.
٤٢. A.E., V. 5, p. 73
٤٣. A.E., V. 14, p. 48 (26 juin 1919)
٤٤. «Celui qui possède la Syrie a la clé de l'Asie tout entière». (Napoléon) A.E., V. 7, p. 238

– ان ثمة تنافسًا قويًا بين بريطانيا وفرنسا في المنطقة ويجب على فرنسا ان لا تتراجع.
– ليس على فرنسا ان تتشبث فقط باتفاقية سايكس – بيكو، وانما عليها ان تسعى لتعديلها باتّجاه ضم فلسطين ومناطق اخرى.
– ان هناك تعارضًا بين المصالح الفرنسية ومشروع انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.
– ان المشروع السياسي الذي ينسجم مع مصلحة فرنسا، من وجهة نظر هذه الجمعيات، هو تنظيم المنطقة على أساس اتحاد كونفدرالي او فدرالي.

وانطلاقًا من هذه النقطة الاخيرة يمكننا ان نفهم قوة التيار الداعي لانشاء سوريا الكبرى في وزارة الخارجية الفرنسية، وهو الذي تمثّل باللجنة المركزية السورية Comité Central Syrien المرؤوسة من قِبل شكري غانم.

٣. التحرّك السياسي لهذه اللجنة

يبدو ان هدف المشروع السياسي الذي سعت هذه اللجنة لتحقيقه هو نفسه مشروع الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة الفرنسية. من هنا ضرورة ايلائها الاهمية اللازمة في سياق تحليل السياسات الفرنسية ازاء المشرق في هذه المرحلة[٤٥].

ما هي سياستها في المهاجر؟ وما هو موقفها أمام مؤتمر الصلح؟

ما هو موقفها بالنسبة لباقي القوى الفاعلة في وزارة الخارجية الفرنسية؟

هذه أبرز النقاط التي سنتوقّف عندها بايجاز:

سياستها في المهاجر: لقد تركّز نشاط اللجنة المركزية، بشكل أساسي[٤٦] في مصر واميركا الشمالية واميركا الجنوبية – اذا ما اعتبرنا ان باريس هي منطلق التحرّك[٤٧]. ولقد اتّبع غانم نوعًا من المرونة في التعامل مع الأوضاع السائدة في كل منطقة، اذ جمع، في تعامله مع الفروع،

---

٤٥. لقد عالج المؤرّخ الكبير زين نور الدين زين هذه النقطة بكثير من السرعة في كتابه «**الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**»، دار النهار للنشر، ١٩٧١، ص ١٠٤ – ١٠٦. فقد نقل عن أحد المصادر الانجليزية قولاً منسوبًا الى كليمنصو – بيشون حول مداخلة شكري غانم في مؤتمر الصلح – «لماذا جئت بهذا الرجل الى هنا»؟ فيجيب بيشون: «لم أكن أعلم انه سيعالج الأمر على هذا المنوال». ان من يطّلع على وثائق وزارة الخارجية الفرنسية يعرف جيدًا انه من المستبعد أن يقول كليمنصو وبيشون هذا القول عن شكري غانم!!

٤٦. بالنسبة للنشاط في لبنان وسوريا يبدو انه لم يكن بزخم باقي اللجان والجمعيات والتيارات الطائفية والسياسية. ومن البرقيات القليلة التي أيّدت شكري غانم، من بيروت، البرقية التالية:

«الجمعية الوطنية للشباب السوري تشكرك وترجو منك أن تقبل انتدابها لك أمام مؤتمر الصلح، وذلك من أجل سورية موحّدة، مستقلة، فدرالية، تحت وصاية فرنسا. (شارل قرم)
A.E., V. 11, p. 141 (28 mars 1919)

٤٧. من أبرز المساعدين لغانم في باريس الدكتور جورج سمنه.

بين وحدة البرنامج ووحدة الشعارات من جهة، وحرية الحركة فيما يتعلّق بالأمور الجزئية من جهة أخرى.

أ) اللجنة اللبنانية – السورية في مصر

تألّفت هذه اللجنة على أثر البرقية رقم ٧٧ تاريخ ١٨ آذار ١٩١٨، من قبل وزارة الخارجية[٤٨]. ولقد تشكّلت نهائيًا وبعد وقت قصير من صدور التصريح الفرنسي الانجليزي حول المسألة السورية. برنامجها لا يختلف كثيرًا عن برنامج «اللجنة المركزية السورية في باريس» باعتبار انها حرصت على ان يكون لها بعض الاستقلال. حاليًا[٤٩] تعد ما يُقارب ٧٠٠ عضو موزّعين على أربع لجان اقليمية: في القاهرة، الاسكندرية، طنطا والمنصورة ولجنة مصر المركزية في القاهرة وهي مؤلّفة من: عبدالله صفير باشا رئيسًا، شكور باشا أمين صندوق عام، الفونس زينية سكرتير عام، ادغار طويل سكرتير عام، حقي بيك العظم، الفرد ليان، نعمه غانم وهنري مشاقة أعضاء.

كل هؤلاء السوريين هم من المسيحيين باستثناء حقي بيك العظم، وينتمون الى طوائف المارونية، والملكية والارثوذكس، ولكن يوجد بين الأعضاء بعض المسلمين المرتبطين بحقي بيك، وهو الذي كان منذ زمن بعيد مؤيّدًا للتدخّل الفرنسي في سوريا وخاصة في دمشق التي إليها ينتسب (...)».

على صعيد البرنامج فقد وضعت اللجنة نقاطًا خمسة لتحرّكها:

١. «نحن موقّعي هذا من سوريين ولبنانيين مقيمين في القطر المصري ومتفقين اتفاقًا تامًا في آرائنا وفي شعورنا فيما يتعلّق بمستقبل وطننا الأصلي إجابةً للنداء الموجّه إلينا من ممثلي الدولتين الفرنساوية والبريطانية[٥٠]، قد قابلنا بمزيد الارتياح مشروع إنشاء لجنة لبنانية سورية في القطر المصري غرضها تعزيز مصالح وطننا.

٢. ووافقنا على لائحة اللجنة الآتي بيانها: وهو تحرير سوريا والسير بها في سبيل الاستقلال تحت رعاية دولة فرنسا وبمساعدتها وبضمانتها على طريقة الاستقلال الإداري لكل من ولايات سوريا مع المحافظة على نوع الاستقلال الحايز عليه لبنان من قبل وعلى الصفة الخاصة به وعلى حقه

---

٤٨. كان التنسيق عميقًا بين فروع اللجنة المركزية وسفراء وقناصل فرنسا.

٤٩. هذا جزء من تقرير أرسله (M. Malzac) عن التيارات السياسية بين السوريين في مصر. وقد أرسل التقرير في ٩ كانون الثاني ١٩١٩ – A.E., V. 7, p. 159
ولكن في تقرير للكومندان Sarrou ان عدد أعضاء الجمعية ١٥٠٠
A.E., V. 9, p. 54 (13 janv. 1919)

٥٠. كانت الخارجية الفرنسية، بالتنسيق مع شكري غانم، قد أرسلت برقية بخصوص برنامج اللجنة المركزية – A.E., V. 6, p. 194 (29 déc. 1918)

في السعي لتحقيق أمانيه العادلة ؛ أما علاقات لبنان مع باقي بلاد سوريا فسيؤجّل أمر تقريرها لما بعد حسب الظروف.

٣. واعتمادًا على التصريحات الصادرة في ظروف متعدّدة من رجال الحكومة الفرنساوية المتضمنة عزم الدولة المشار إليها على انها بمساعدة الأهالي ومع احترام العقائد الدينية تضع طريقة للحكم من شأنها تأييد النظام والعدل والحرية، تعتمد اللجنة على الدولة الفرنساوية في وضع هذا النوع من الحكم مبنيًا على مبدأ الاستقلال الإداري. (أعني اللامركزية).

٤. ونشكّل في المدن وفي البنادر المهمة لجان محلية تمثّل مجموع الموافقين على هذه اللائحة ثم تشكّل لجنة مركزية يكون مركزها في القاهرة وينتخب أعضاؤها بمعرفة لجنتي مصر والاسكندرية المحليتين وهذه اللجنة المركزية يكون لها وحدها الحق في تمثيل اللجان المحلية كافة بصورة رسمية.

٥. واننا نؤيّد بموجب هذا هيئة اللجنة المحلية في مدينة او بندر... المشكّلة من أصحاب المشروع الواضحة اسماؤهم أدناه وسنؤدّي لأعضاء هذه اللجنة والى اللجنة المركزية كل ما يلزم من المساعدة التي تمكّنهم من القيام بمهمتهم كما يجب بمقتضى اللائحة الواضحة آنفًا:

عبد الله صفير باشا، رئيس
حقي بيك العظم، نائب رئيس
الفونس زينية، سكرتير
نعمه غانم، أمين صندوق

أعضاء: شكور باشا، أمين بك بستاني، الأمير مختار الجزائري، الدكتور الكسندر الغريّب، سامي قصيري، الدكتور أسد عطيّه، رزق الله أرقش، جان خوّام»[٥١].

لقد تشبّثت اللجنة اللبنانية – السورية في مصر ببرنامجها ودافعت عنه وأرسلت جملة برقيات[٥٢] مؤيّدة موقف القيادة في باريس، حتى انها استغربت تصرّف جورج بيكو عندما خطب في حلب مؤكّدًا ان «فرنسا تؤيّد قيام أمة عربية موحّدة وحكومة عربية مستقلة، وهي مستعدة لمساعدتها[٥٣]». فأرسل عبد الله صفير باشا كتابًا باسم لجنته في القاهرة يستغرب كل اتجاه يمكن ان تنحوه السياسة الفرنسية حول دولة كونفدرالية موحّدة مع الحجاز، ويطلب جوابًا تلغرافيًا سريعًا[٥٤].

على أثر ذلك بادر شكري غانم بتقديم رسالة[٥٥] الى وزير الخارجية ينقل فيها شكواه من

---

٥١. A.E., V. 7, p. 164
٥٢. A.E., V. 10, p. 16 (21 fév. 1919)
٥٣. A.E., V. 10, p. 131-133 (25 janv. 1919)
٥٤. A.E., V. 10, p. 128-130 (27 janv. 1919)
٥٥. A.E., V. 10, p. 125-127 (3 mars 1919)

خطاب بيكو في الشام وصدى هذا الخطاب على أعضاء لجنته في القاهرة. وينوّه بأن سياسة الحكومة وسياسة «اللجنة المركزية» متفقتان بالنسبة لمستقبل وحدة سورية، وهي مغايرة لتصرّف بيكو. ثم يؤكّد على معارضته لأي نوع من الفدرالية لدول إسلامية يمكن أن تشكّل ثقلاً سياسيًا في المنطقة.

وعلى صعيد آخر فقد قدّمت اللجنة اللبنانية – السورية في مصر مذكّرة الى مؤتمر الصلح – من خلال اللجنة المركزية السورية – طارحة المطالب التالية:

١. رفع كل سيطرة لتركيا على سوريا، وتحريرها من كل علاقة يمكن أن تقيّدها بها هذه البلاد (تركيا)، وحتى لو كان هذا القيد نظريًا او اسميًا.
٢. السماح لسوريا الموحدة والمتكاملة سياسيًا واقتصاديًا بالاستقلال المرتبط بفترة تدرّب وتهيّؤ في مجال الحكم من قبل دولة فرنسا، وهي الدولة الموكل إليها هذا الأمر طبقًا لنص الاتفاق الفرنسي – البريطاني. ويكون ذلك على قاعدة الاستقلال الذاتي للمناطق، ومن ضمنها لبنان الذي كان يتمتّع باستقلال ذاتي، فيستطيع الاحتفاظ باستقلاله الذاتي هذا مع توسيع لحدوده.
٣. الفصل التام بين المسألة السورية والمسألة العربية، وإنشاء حكومة قومية سورية، دستورية وديمقراطية مع رئيس دستوري ليس له اية خصائص دينية.

وتتوسّع المذكّرة في كل نقطة داعمة اياها بأسانيد تاريخية. وقد وقّع على هذه المذكّرة كل من:

مجلس اللجنة في القاهرة:
عبد الله صفير باشا، رئيس؛ حقي بيك العظم، نائب رئيس؛ الفونس زينيه، السكرتير؛ نعمه غانم، أمين الصندوق؛ شكور باشا، سامي قصيري، أمين بيك بستاني، الدكتور أسد عطيه، الأمير مختار الجزائري، رزق الله أرقش، الدكتور الكسندر غريب، جان خوّام.

مجلس اللجنة في الاسكندرية:
الكونت جورج دي زغيب، رئيس؛ الفرد إليان، نائب رئيس؛ ادغار طويل، سكرتير؛ هنري مشاقة، أمين صندوق؛ غبريال انكيري، بيار طراد.

مجلس اللجنة الإقليمية في طنطا:
حبيب بيك زوين، نقولا بيك أرقش، قسطنطين بيك سعاده، الدكتور ف. دهان، مرهج رزق.

مجلس اللجنة الاقليمية في المنصورة:
الكونت عزيز صعب، ميشال سوسة، الدكتور امين الجميل، الدكتور شويري، أ. داود.

مجلس اللجنة الاقليمية في بور سعيد :
الدكتور سليمان خوري ، شكري غريّب[٥٦].

(القاهرة ، ١٠ كانون الثاني ١٩١٩)

ب) رابطة سوريا – جبل لبنان للتحرير

انطلاقًا من أهمية الولايات المتحدة (سياسيًا واقتصاديًا واعلاميًا) بالنسبة لفرنسا ، وبسبب أهمية الجالية اللبنانية – السورية فيها (١٢٥ ألفًا) فقد أولت السياسة الفرنسية ، من خلال «اللجنة المركزية السورية» ، اهتمامًا واسعًا بها .
وهكذا تمّ تأليف هيئة تنفيذية مقرها نيويورك مؤلّفة من :

الدكتور أيوب ثابت ، رئيسًا
نعمه تادروس ، أمينًا للصندوق
أمين الريحاني ، نائبًا للرئيس
جبران خليل جبران ، سكرتيرًا للمراسلات الانجليزية
ميخائيل نعيمه ، سكرتيرًا للمراسلات العربية
نعيم دياب ، رئيس تحرير «الدبلي ميرور»
شكري بخاش ، رئيس تحرير مجلة «الفتاة»
عبد المسيح حداد ، رئيس تحرير مجلة «السائح»
نسيب عريضه ، رئيس تحرير مجلة «الفنون»
ايليا أبو ماضي ، مساعد تحرير مجلة «الدبلي ميرور»[٥٧]

وقد تتابعت مذكّرات هذه الرابطة الى وزارة الخارجية الفرنسية ، ففي أيار ١٩١٨ تشير وثيقة[٥٨] الى ان الرابطة أرسلت مذكّرتين الى الرئيس ويلسن وسكرتير الدولة الأميركية روبرت لنسنغ تعرض فيهما الموقف بالنسبة لمستقبل المنطقة ، وبعدها ترسل الرابطة رسالتين الى القنصل الفرنسي في نيويورك (ليبرت)[٥٩]. وفي تقرير آخر تطالب الرابطة بوحدة سوريا الطبيعية تحت السيطرة الفرنسية[٦٠]. وفي ١٢ كانون الاول ١٩١٨ جاء في رسالة الى الخارجية الفرنسية «ان رابطة تحرير سوريا وجبل لبنان المعبّرة عن آمال السوريين في اميركا الشمالية تدعم باسمها وباسم

٥٦. Comité Central Syrien, *La Syrie devant la conférence*, Mémoire à M. Georges Clemenceau, Paris, janvier 1919, p. 6-12
٥٧. A.E., V. 1, p. 61 (10 mai 1918)
٥٨. A.E., V. 1, p. 61-67
٥٩. A.E., V. 1, p. 214-217
٦٠. A.E., V. 3, p. 249-255

الصحف السورية الصادرة في الولايات المتحدة اقتراح غرفة التجارة في مرسيليا حول حدود سوريا . وهي اذ تذكر بما قدمته سوريا من تضحيات ، قبل وخلال الحرب ، ومشاركتها في التحرير بواسطة جيش المشرق ، فانها تؤكّد على حقها في المطالبة بوحدة سوريا القومية ... واستقلالها تحت حماية وإدارة فرنسا ، الأم التاريخية لهذه البلاد»[٦١].

في ضوء ذلك يشيد شكري غانم بدور المثقفين ولجان المغتربين في أميركا الشمالية وخاصة ثابت وجبران ، لأنهم يعملون بجد للوحدة السورية على أساس ديمقراطي فدرالي ، ويصرّون على مساعدة فرنسا الصديقة[٦٢].

في أول شباط ١٩١٩ ترسل الرابطة الى مؤتمر الصلح مذكّرة هامة توضح فيها خطها السياسي[٦٣] :

«أول شباط ١٩١٩ – الى السكرتير العام لمؤتمر الصلح – وزارة الخارجية الفرنسية ، الكي دورسه – باريس .

الرجاء إيصال هذه العريضة الى الرئيس ويلسن والى رؤساء الحكومات كليمنصو ، لويد جورج واورلندو :

نحن الموقّعين أدناه ، أعضاء المجلس التنفيذي للجامعة الوطنية السورية – اللبنانية للتحرير ، نرفض بشدة الادّعاءات المقدّمة من مندوب الحجاز الى مؤتمر الصلح . هذه الادّعاءات التي تزعم ان السوريين يرحّبون بحرارة بالسيطرة العربية على سوريا وفلسطين . والحقيقة هي عكس ذلك ، فنحن متأكّدون ان الاحتلال العربي للأرض السورية قد أدّى الى مساوئ جمّة لطمأنينة المستقبل السوري ، والخسارة تصبح كبيرة جدًا اذا ما طال هذا الاحتلال . ان سيادة ، ولو اسمية ، تعلنها قبائل الحجاز على سوريا المتحضّرة باسم بعض المفاهيم التي تفتقر الى القيمة العلمية (كالاخوة العربية ، واللغة العربية والصيغ السياسية – الدينية وغيرها من الحجج المصطنعة) ، تعتبر ضربة بالغة السوء لمستقبل التقدّم في هذه البلاد . ان السوريين ليسوا عربًا واللغة العربية فرضت على سبعة ملايين مسيحي كانوا سكان البلاد الأصليين ، وكان من شأن السيطرة التعصبية للعرب اولاً ومن ثم الأتراك ان اختزلت – حسب آخر التقديرات – عدد هؤلاء المسيحيين الى أقل من مليون . اننا نرجوكم ، يا معالي السكرتير العام للمؤتمر ، عندما تصيغون الشكل السياسي لسوريا المستقبل ، أن تأخذوا بعين الاعتبار ، كقاعدة في خياركم هذا ، حق الشعوب في تقرير مصيرها ، ودرجة

٦١. A.E., V. 5, p. 231
٦٢. A.E., V. 6, p. 105 (23 déc. 1918), et V. 4, p. 217
٦٣. يمكن مراجعة مقالتنا في مجلة **دراسات**، السنة العاشرة ، العدد ١١ ، ١٩٨٣ ، كلية التربية ، الجامعة اللبنانية . وهي بعنوان «وثائق جديدة حول جبران السياسي» .

التقدّم والثقافة لمختلف العناصر المشكّلة للسوريين، أكثر من اعتمادكم على التراكم الكمي للجماهير الجاهلة التي تتحكّم بمواقفها عوامل التعصّب الديني وليس عامل العقلانية الرصينة.

ان السوريين المنتمين الى عناصر التقدّم يُجمعون بحماس على حلّ المسألة السورية على أساس الوحدة الفدرالية في سوريا الطبيعية كلها تحت وصاية وحماية دولة واحدة كبرى، وديمقراطية. ان وحدة الأهداف عبر التاريخ، والعلاقات التربوية المتجدّدة، والمصالح الاقتصادية المشتركة، وخاصة التدخّل العسكري الفعّال لتخليصنا من الإبادة الشاملة عام ١٨٦٠، كل هذه المعطيات تجعل من ميلنا نحو فرنسا ميلاً طبيعيًا، ونحن نترجاها ان تتحمّل المسؤولية لحمايتنا وتوجيهنا. اننا نرجو من فخامتكم عدم معارضة هذا الامتياز الذي هو حق من حقوقها، هذا الحق الذي جعله مقدّسًا ولا يرفض استشهاد ربع مليون مسيحي سوري متعلّقين بفرنسا.

مع فائق الاحترام

أيوب ثابت، رئيس الرابطة الوطنية السورية – اللبنانية للتحرير، السكرتير السابق للجمعية العامة للإصلاح المنعقدة في بيروت ١٩١٣

جبران جبران، سكرتير عام

سليم ملدوكي، ممثل سوريا في ذكرى ٤ تموز (يوليو) في مون فرنون

الدكتور نجيب بربور، رئيس جمعية بيروت

ابراهيم موقد، رئيس جمعية دمشق

ولیم كاتسفليس، الرئيس السابق لجمعية الاتحاد السوري

جوزف خوري، رئيس تحرير «الشهاب»

شكري بخّاش، رئيس تحرير «الفتاة»

نعمه تادرس، رئيس جمعية طرابلس

سعيد عقل، سكرتير رابطة التجار السوريين

عبد المسيح حداد، رئيس تحرير «السائح»

نسيب عريضه، رئيس تحرير «الفنون»[٦٤].

لقد نشطت هذه الرابطة على مختلف المستويات ويتضح من مجمل مراسلات ان الفرنسيين كانوا يقدّمون الدعم المادي لمجلات (السايح) و(الفنون) و(الهدى)[٦٥]، لا بل ان ليبير – القنصل الفرنسي في نيويورك – يطلب من وزارة الخارجية وضع مبلغ ٢٠ ألف فرنك بتصرّف ثابت وجمعيته[٦٦]، باعتبار انه قدّم مساعدات هامة لفرنسا من أجل سوريا الموحّدة وهو شخصية

٦٤. A.E., V. 9, p. 6
٦٥. A.E., V. 6, p. 40
٦٦. A.E., V. 9, p. 221-222

عميقة الاطّلاع[٦٧]. ويشيد ليبير في تقارير متلاحقة بالموقف الودي جدًا من ثابت وجبران بالنسبة لفرنسا[٦٨]، ويرسل في أحد تقاريره الدبلوماسية نص رسالة موقّعة من ثابت (الرئيس) وجبران (السكرتير) يعربان فيها عن عواطفها الحارة وتقديرهما لرئيس الوزراء الفرنسي كليمنصو بمناسبة نجاته من محاولة اغتياله. ويؤكّدان انهما يضعان فيه كل آمالها بتحرير سوريا وربطها بفرنسا ويعتبران انه القادر على التعبير عن مطامح السوريين أمام مؤتمر الصلح[٦٩].

ويطرح تساؤل أمام الباحث عن طبيعة العلاقة بين الرابطة[٧٠] وبين غرفة تجارة مرسيليا. في برقية مرسلة الى الخارجية الفرنسية تدعم الرابطة – «وهي التي تجسّد مطامح السوريين في اميركا الشمالية، باسمها وباسم الصحافة السورية في الولايات المتحدة (مرآة الغرب، الشهاب، السايح، الفتاة، الفنون)، تدعم الحل المقترع عليه في غرفة تجارة مرسيليا والمتعلّق بحدود سوريا نحو الداخل وليس فقط على الشاطئ المتوسطي (...) وتدعو للوحدة القومية المميزة لسورية واستقلالها تحت الوصاية الفرنسية».

ج) اللجنة الوطنية السورية – اللبنانية في البرازيل

تُعتبر البرازيل مركز تجمّع هام للجاليات السورية واللبنانية، وكانت أوساط هذه الجاليات تشهد – في هذه الأثناء – نهضة ثقافية وسياسية. ولقد تجسّد ذلك في النوادي والجمعيات المختلفة. من هنا فان اللجنة المركزية السورية أوجدت لها فرعًا هناك، وكان نشاطه محدودًا بالمقارنة مع نشاط فرعي مصر ونيويورك.

وحسبنا أن نعرض المذكّرة[٧١] التي أرسلتها هذه اللجنة الى مؤتمر الصلح وهي تدلّ على فكر سياسي ناضج.

«لقد كلفت اللجنة الوطنية السورية اللبنانية في البرازيل، من خلال تلغراف أُرسل في ١٩ كانون الأول ١٩١٨، اللجنة المركزية السورية في باريس ان تطلب من مؤتمر الصلح، أن يعهد الى فرنسا تنظيم سوريا على أساس من الوحدة والاستقلال والنظام الفدرالي. ان اللجنة الوطنية السورية – اللبنانية تجد من واجبها تقديم هذا الالتماس الى كل من الدول الكبرى الحليفة، مرفقة به كل الأسانيد والدوافع التي تدعم مطالبها.

سوريا وحدة جغرافية: ان سوريا تشكّل وحدة جغرافية ثابتة وتضم كل الأراضي التي كانت

٦٧. A.E., V. 13, p. 267
٦٨. A.E., V. 10, p. 31
٦٩. المرجع السابق.
٧٠. A.E., V. 5, p. 231
٧١. A.E., V. 8, p. 27-29 (20 janv. 1919) – من أبرز قادة هذه اللجنة رئيسها : Assad Kaléo

تتألّف، تحت النظام التركي، من المناطق الإدارية التالية: ولايات دمشق، حلب، بيروت، وسنجقي القدس وجبل لبنان. هذه الأراضي لها حدودها الطبيعية التي تفصل سوريا بوضوح عن باقي البلاد الأسيوية. وهي حدود تؤمّن، على المستوى السياسي، كل شروط الحماية. والقانون الدولي يعطي لمثل هذه الحدود، وبدرجة عالية، قيمة كبرى، ذلك أن البلدان التي تنفصل حدودها بوضوح عن غيرها، والتي هي بعيدة عن الإشكالات والعدوان عليها من الخارج، هي عناصر سلام وهدوء، لنفسها اولاً، ولجيرانها بالتالي، وللعالم المتحضّر كذلك. ان اول شرط للتقدّم هو الأمن القومي، وأول شرط للأمن هو تأمين سبل الدفاع.

سوريا وحدة اثنية: تشكّل سوريا وحدة أثنية ثابتة، ذلك ان الشعوب التي تسكنها في متحد جغرافي، تتكوّن من عنصر واحد يتكلّم لغة واحدة، وتتصف بعادات وآداب وتقاليد مشتركة. انها اذن تؤلّف جماعة اثنية موحّدة واقعيًا. ومن الواجب ان لا نشدّد على جوانب التباين الديني والطائفي، فهذه التباينات، عدا كونها موجودة عند كل الأمم التي لها نفس العرق، لا يمكن أن تعتبر عائقًا بوجه الوحدة الوطنية (...) ان هذه التباينات تشكّل في سوريا عائقًا عابرًا سوف يتجاوزه التطوّر الوطني ويزيله.

حق سوريا بالاستقلال: لسوريا الحق الذي لا تناقش فيه بالاستقلال وذلك بسبب وحدتها الجغرافية والأثنية.

– حسنات الوحدة السورية: وحدة أجزاء سوريا تحت نفس الراية سوف تخلق قوة تكون معتبرة من جيرانها وتساهم في تحقيق علاقات حسن جوار. هذه الوحدة سوف تنمّي وتضاعف القوى الحيّة في البلاد وتضاعف مصادر النشاط والانتاج، وسوف تعطي انطلاقة سريعة للتطور الوطني وتحقق الاندماج القومي. السوريون المعروفون بقابليتهم الطبيعية للتقدّم سوف يصبحون أحد محاور الحضارة في آسيا. أما تجزئة سوريا فسينتج عنها العكس تمامًا، إذ ان كل جزء سيضعف بفقدان الدعم الناتج عن الوحدة.

ان قوة وتطور وازدهار سوريا مرتبطة كلها بوحدتها، أما تجزئتها فسينتج عنها الضعف والانحطاط وهدم وحدتها القومية.

– نظام الحكومة السورية: النظام الذي نبتغي قيامه في سوريا هو النظام الجمهوري، الفدرالي والبرلماني. هذا النظام هو الوحيد المناسب لأمة كالأمة السورية، وهي التي رزحت حتى الآن تحت نير الاوتوقراطية المدنية والدينية المزدوج، بينما هي تملك القابلية الخاصة لحياة الحرية والديمقراطية»[٧٢].

---

٧٢. ان من يقوم بتحليل دقيق للمصطلحات والمنطلقات الفكرية الواردة في هذا النص يستنتج ان انطون سعاده قد اطّلع – بدون شك – على أدبيات هذه اللجنة، وعلى أدبيات غيرها من الجمعيات التي كانت تعمل للوحدة السورية في هذه المرحلة. ومن الأمور التي تعمق هذا اليقين مشاركة والده خليل سعاده بتزعّم بعض هذه الجمعيات، والمرحلة غير القصيرة التي قضاها زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي في أميركا الجنوبية.

د) فروع ثانوية مختلفة:

بالإضافة الى نشاط الفروع الأساسية للجنة المركزية السورية فاننا نقع على بعض البرقيات لفروع[٧٣] أخرى أقل أهمية:

في رسالة من مكسيكو ان الجمعية السورية – اللبنانية تطالب بسوريا فدرالية موحّدة، بما فيها لبنان، وتكون تحت رعاية فرنسا[٧٤].

وفي برقية من الأورغواي تأييد لبرنامج اللجنة السورية بوحدة سوريا الفدرالية تحت ظل الحماية الفرنسية[٧٥].

وفي رسالة من سفير فرنسا في (فالباريزو) يوضح فيها ان بعض اللبنانيين رفضوا تأييد شكري غانم وأكّدوا على استقلال لبنان، بينما طالب آخرون بالوحدة مع سوريا[٧٦].

وثمة تقرير[٧٧] من السفير الفرنسي في بوينس ايرس، يذكر ان حزب الوحدة السورية (يونيون سيريا) فيه موارنة، دروز، اورثوذكس، وعرب (ربما يعني سنة) وعلى رأسه «سعاده» الذي وافق مؤخرًا على حماية من قبل القوى الدولية الحليفة. ويضيف ان تدخله الشخصي – أي تدخّل السفير – أدّى الى استبدال سعاده بشخص آخر مؤيّد للوصاية الفرنسية.

وفي رسالة من مغتربي سوريا ولبنان في كيتو مطالبة بتحقيق وحدة سوريا الطبيعية مع وصاية فرنسية[٧٨].

كما ان شكري غانم تلقّى رسائل كثيرة من فروع الجمعية تكلّفه بتمثيلها أمام مؤتمر الصلح. من أبرز هذه الرسائل:

- رسالة من شارل خوري (Pernambuce 12 déc. 1918)
- وأخرى من سان بولو موقّعة بإمضاء نعمة يافت (١٣ تشرين الأول ١٩١٨)
- ورسالة من بوليفيا من اللجنة التي يترأسها Simon Khabal (٢٢ كانون الأول ١٩١٨).
- ورسالة من بللو اوريزونتي (٢٢ كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من خليل سعد بدران.
- ورسالة من دكار (كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من جبر ونجا ورزق.
- وأخرى من كوناكري موقّعة من جبر، Kalif، نجا وشيبان (كانون اول ١٩١٨)

---

٧٣. في احد تقارير وزارة الخارجية الفرنسية ذكر لعدد المغتربين في اميركا: اميركا الشمالية، ١٢٥ الفًا؛ الارجنتين، ٥٠ الفًا؛ البرازيل، ٦٠ الفًا؛ المكسيك، ٣٠ الفًا؛ تشيلي، كولومبيا، فنزويلا، البيرو والانتيل في كل منها الف مهاجر لبناني.

٧٤. A.E., V. 9, p. 83 (1 fév. 1919)

٧٥. A.E., V. 6, p. 184 (28 déc. 1918)

٧٦. A.E., V. 9, p. 28 (2 fév. 1919)

٧٧. A.E., V. 7, p. 21 (2 janv. 1919)

٧٨. A.E., V. 9, p. 117

- ورسالة من رفيرا (بالاوروغواي) موقّعة من نعمة (كانون الأول ١٩١٨).
- وأخرى من سنتياغو (كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من توفيق بالش.
- ورسالة من بوينس ايرس (٣١ كانون الأول ١٩١٨) موقّعة من كوستا
- وكذلك رسالتان واحدة من لوس انجيلوس (٩ كانون الأول ١٩١٨)، وأخرى من سيدني (كانون الثاني ١٩١٩) تؤيّدان الوصاية الفرنسية على سوريا[٧٩].

٤. نشاط اللجنة المركزية السورية باتجاه مؤتمر الصلح :

ان تحقيق المصلحة الفرنسية بالسيطرة على المنطقة، وحمل مؤتمر الصلح على إضفاء الشرعية الدولية على هذا الحل، وايجاد تيار شعبي – في سوريا ولبنان – يوحي للمؤتمر بان السكان يطالبون – عبر ممثّليهم – بفرنسا، كان هذا من الأسس والأهداف الاولية التي بسببها أُنشئت اللجنة المركزية السورية. في هذا السياق كان تحرّك اللجنة المركزية أمام مؤتمر الصلح يتمحور حول أمور ثلاثة :

- تفنيد طروحات الأمير فيصل
- الاحتجاج على الوفود اللبنانية
- التركيز على دعم فرنسا والوحدة السورية.

أ) تفنيد طروحات الأمير فيصل :

لقد كان الإعداد لمؤتمر الصلح الشغل الشاغل لشكري غانم. فقبيل انتهاء الحرب يذكر شكري غانم «بأنه يتّصل بلجان اميركا ومصر وغيرها إعدادًا لمؤتمر الصلح»[٨٠]. ويشارك غانم في طرح المسألة السورية أمام مؤتمر الصلح[٨١] فيذكر بأنه يتكلّم «باسم جماعة يقدَّر عدد أعضائها بأكثر من مليون نسمة»، وبالتالي فانه لا يريد أن يكون تحرير سوريا عن يد أهل الحجاز، كما انه غارض ان يتكلّم فيصل «ممثّل الحجاز» باسم جميع «الناطقين باللغة العربية وباسم سوريا». «فان دمشق تبعد عن مكة بما لا يقلّ عن ألف وخمس مئة كيلومتر. فاية صلات روحية وتقارب ذهني تربط بين طبيعة السوري والحجازي، بين البدو وأهل الحضر؟ وهل هناك غالبية من العنصر

٧٩. نص هذه الرسائل موجود في :
Comité Central Syrien, *La Syrie devant la Conférence, op. cit.*, p. 16-19
٨٠. A.E., V. 6, p. 186-188 (28 déc. 1918)
٨١. يمكن مراجعة النص الكامل لخطاب غانم أمام المؤتمر (١٣ شباط ١٩١٩) في كراس
La Syrie devant la Conférence, op. cit., p. 3-5

العربي في سوريا من شأنها ان تعلّل او تبرّر مثل هذه الفكرة؟ ان ضم سوريا الى الجزيرة العربية هو افتئات صارخ على قدسية الأرض التي أنبتت هذا الشعب وعلى تاريخه ...»[٨٢].

هل حاول غانم قبل صدامه مع الأمير فيصل ان يوفّق بين موقفه وموقف الأمير الهاشمي؟

في أحد الرسائل من غانم الى بيشون[٨٣] يقول : «صاحب الفخامة : عند المرور الأول لفيصل في باريس تيسّر لي أن أتناقش مطوّلاً مع هذا الأمير الشاب، وقد حملته على الاهتمام كثيرًا ببرنامج اللجنة المركزية الذي توسّعت في شرحه له، وهو البرنامج الذي يرتكز على وحدة سوريا واستقلالها وتنظيمها على الأساس الفدرالي. لقد نجحت في توجيه طموحه بأن يصبح هو نفسه رئيس الاتحاد الفدرالي، بدلاً من أن ينعزل في منطقة دمشق حيث – في حال تسلّمه منصب الأمير أو السلطان – ينحبس بين أخيه في منطقة حلب والفرنسيين على الساحل ووالده الملك حسين في الحجاز. وبموافقته يكون قد أمّن خدمة لشعب شقيق بدل أن يكون مسؤولاً عن تجزئة ودمار البلاد السورية. لقد بدا لي ان هذه الفكرة راقت له (...) ولقد أطلعت السيد (غوت) على هذه المقابلة. وقد علّق الكونونيل بريمون «انني غيّرت تفكير الأمير».

(...) لكن بعد ذهابه الى لندن ... عاد بأفكار وطروحات مغايرة، وهذا ما استشفيته من الحاشية المحيطة به. وهؤلاء يصرّحون : «انكلترا وعدتنا بالاستقلال الكامل دون أي تدخّل خارجي ونحن نقف معها». من أبرز أعضاء الحاشية المحيطة بفيصل عوني عبدالهادي، ويبدو ان غانم كان يكنّ له بغضًا أكيدًا إذ يتّهمه في أكثر من تقرير بأنه مرتبط بالدوائر الانجليزية[٨٤].

في ٢٤ نيسان ١٩١٩ يرسل غانم رسالة[٨٥] الى ريمون بوانكاره يحثّه فيها على التحرّك في سوريا – عسكريًا واعلاميًا – ويحذّر من تفتيت البلاد، ويشير الى عمليات الدفع من قبل الانجليز[٨٦] وحتى ان الدعاية الفيصلية أخذت تستقطب سوريين في باريس والاميركتين. أما في رسالته[٨٧] الى كليمنصو، رئيس مؤتمر الصلح، فيعارض غانم المطالب التي قدّمها فيصل ويفنّدها ويطرح على المؤتمر وجهة نظر أخرى: «فان مطالب الجاليات السورية اللبنانية هي ضد ما صرّح به الأمير كما يظهر من العرائض المقدّمة الى المؤتمر في ١٣ شباط الماضي ومن خلال تصريحات الوفد الرسمي اللبناني ان سوريا المستقلة ضمن حدودها الموحّدة، وضمن تنظيمها على أساس مقاطعات

٨٢. نقلاً عن ترجمة زين نور الدين زين، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان**، دار النهار للنشر، ١٩٧١، ص ١٠٤.
٨٣. A.E., V. 8, p. 102 (24 janv. 1919)
٨٤. A.E., V. 7, p. 204 (11 janv. 1919) et A.E., V. 9, p. 226-227 (14 fév. 1919)
٨٥. A.E., V. 12, p. 176
٨٦. قال (برتيلو) أحد كبار موظفي الخارجية الفرنسية «من يملك القوة والمال يسيطر على الشرق».
٨٧. A.E., V. 13, p. 279-282 (14 juin 1919)

فدرالية وحكومة ديمقراطية، تحت وصاية فرنسا، هي من الشروط التي تحمل لبنان على الانضواء والمشاركة في الوحدة السورية».

ويبدو ان رسائل غانم لم تكن تلقى جوابًا فيقدّم في ١٦ حزيران ١٩١٩ رسالة[٨٨] الى بوانكارّه يحتج فيها على عدم الإجابة على رسائله. وبعد أن يجدّد أسفه واحتجاجه على دعوة فيصل الى مؤتمر الصلح يضيف: قلت ان الصهيونية وتدويل فلسطين تحت المظلة الانجليزية، والحجازية او العروبية، كلها أقنعة كان يتحرّك عبرها عملاء انكلترا».

ب) الاحتجاج على الوفود اللبنانية

ذكرنا ان اللجنة المركزية السورية كانت تمثّل، في مشروعها السياسي بالنسبة لمستقبل سوريا، وجهة نظر الجمعيات الكولونيالية وغرف التجارة. وليس من الضروري التذكير بأهمية هذه القوى في توجيه السياسة الفرنسية. بيد أن موظفين كبار في وزارة الخارجية – وقوى أخرى من خارج الوزارة – كان لهم في هذه المرحلة، وجهة نظر مغايرة لتلك التي يمثّلها شكري غانم – من هنا يمكننا الزعم بوجود سياسات فرنسية – بالنسبة لمستقبل لبنان – وليس سياسة فرنسية واحدة[٨٩]. ومهما يكن من أمر فالداعين لاستقلال لبنان الكبير عن الداخل السوري، في وزارة الخارجية، كانوا وراء تسهيل مهمة الوفود اللبنانية الى مؤتمر الصلح.

في ٢ شباط ١٩١٩ يقدّم شكري غانم رسالة[٩٠] عتب الى وزارة الخارجية حول موقف الوفد اللبناني الأول، ويطلب توضيحًا من المسؤولين عن المدلول السياسي لمجيء هذا الوفد، كما يطلب توضيح السياسة الفرنسية المتبعة له. وكذلك يرسل رسالة ثانية[٩١] يعتب فيها ايضًا على السماح بمجيء الوفد اللبناني الى باريس وتركه يعرض مطالبه امام المؤتمر[٩٢]. غير انه في رسالة اخرى يطلب من رئيس الدولة إعطاء أوسمة شرف لأعضاء الوفد اللبناني الأول وللشهداء اللبنانيين[٩٣].

أما بالنسبة للبطريرك الحويك فيقول: لا أفهم شيئًا من السياسة التي نتّبعها في سوريا. حتى

٨٨. A.E., V. 13, p. 274-278

٨٩. «يجب أن يكون لفرنسا سياسة محدّدة في سوريا». هذا ما قاله مارك سايكس الى السفير الفرنسي في روما أوائل تشرين الثاني ١٩١٨ – A.E., V. 4, p. 69

٩٠. A.E., V. 9, p. 34-35 (2 fév. 1919)

٩١. A.E., V. 9, p. 188-189

٩٢. كان داود عمون قد طرح مطالب مجلس الإدارة من خلال مذكّرة قُدِّمت الى مؤتمر الصلح.

٩٣. لا يمكن التعجّب من تغيّر موقف غانم اذا علمنا ان داود عمون طرح في ختام مذكّرته العلاقة بين سوريا ولبنان على النحو التالي:
«... فنظام يفصل بينهما فصلاً تامًا يضرّ بهما معًا. ومع ذلك فلبنان يأبى الاشتراك في الوحدة السورية – مع المحافظة على شخصيته الممتازة – إلاّ اذا كانت فرنسا هي الدولة المساعدة لكليهما معًا...».

اني أخاف ان أفهم هذه السياسة. نكتب ونحاور أصدقاء البطريرك (الحويك) ونرجو منه ان لا يحصر موقفه باستقلال لبنان، ولكن عليه أن يوسّع قضيته الى كل سوريا[٩٤].

اذا كان موقف غانم من الوفود اللبنانية الرسمية تساؤليًا أكثر منه هجومي، فان موقفه من نشاط القوى اللبنانية الاستقلالية (المتمثّلة بالاتحاد اللبناني والرابطة اللبنانية في باريس) ينمّ عن قساوة لا تهادن. في تقرير الى وزير الخارجية بيشون رفعه غانم جاء فيه ما يلي:

«لقد نمي إلي أن ثمة تحرّكات معارضة للسياسة الفرنسية في سوريا، وأجد من واجبي لفت نظركم إليها:

١. ثمة احتجاجات أُرسلت الى سكرتارية مؤتمر الصلح او مباشرة الى مندوبي الدول الحليفة من عشرات اللبنانيين والسوريين، المعروفين بعدائهم لفرنسا وحتى للوفد الرسمي الذي أرسلته حكومتهم[٩٥].
٢. ثمة مأدبة في طريق التحضير من قبل هؤلاء الأشخاص أنفسهم على شرف الأمير فيصل الذي تجمعهم به وحدة الموقف المعارض لفرنسا.
٣. لقد تمّ تنظيم لجنة لبنانية مؤلّفة من هؤلاء أنفسهم، وذلك بتاريخ وصول فيصل نفسه، وربما تمّ ذلك بايحاء منه.

كل هذه الدسائس تهدف الى مجابهة السياسة الفرنسية في سوريا، وتقويض نفوذها وايجاد حالة من الاضطراب والتحريض في أفكار مندوبي القوى الكبرى.

ان الحرية المتروكة لهذه الدسائس على الأراضي الفرنسية بالذات لا تنسجم مع الخط السياسي الذي تتبعه الديبلوماسية الفرنسية امام مؤتمر الصلح.

كما ان هذه التحرّكات تؤدّي الى همود في حمية عناصر اللجنة المركزية السورية المتعلّقة بالتقاليد الفرنسية، كما انها تخفّف من صلابة المحبّذين.

هذه السياسة تبدو أنها أميل للتساهل الإرادي، علمًا أنها تؤدّي – من وجهة نظرنا – الى الضرر بالمصالح الفرنسية – السورية.

ومن هنا نجد من واجبنا، مضطرين، ان ننوّه بهذا الخطر»[٩٦].

ج) التركيز على دعم فرنسا والوحدة السورية

ان غزارة الرسائل التي نجدها لشكري غانم في ارشيف وزارة الخارجية ١٩١٨ – ١٩٢٠، والمودة التي يتكلّم بها مع رئيس الوزراء ووزير الخارجية وباقي كبار الموظفين، هي من المؤشّرات

٩٤. A.E., V. 15, p. 40-44 (18 août 1919)

٩٥. يقصد الوفد الأول الذي أرسله مجلس الإدارة.

٩٦. الرسالة مؤرّخة في ١٨ شباط ١٩١٩.

التي تنم عن الأهمية البالغة لهذا الشخص – على الأقل بالنسبة للفرنسيين[97]. ويبدو أن الهم المحوري الذي كان يستحوذ على كل نشاطه يتمثّل بأمرين :

– تحقيق الوحدة السورية .

– تحقيق الوصاية الفرنسية على كامل سوريا .

من أجل تحقيق ذلك استعمل غانم ولجنته كافة الأساليب :

– أسلوب المساعدات المالية لشراء المؤيّدين ولنشر الدعاية الإعلامية : في مذكّرة قدّمها غانم الى وزير الخارجية في ١٠ تشرين الأول ١٩١٨[98] يطالب بمبلغ ٥٠٠ الف فرنك لتنفيذ خطط إعلامية ، واستقطاب مؤيّدين لتحقيق الانتداب الفرنسي على سوريا مع تأمين وحدتها .

ويقوم غانم بإلقاء المحاضرات في الأوساط الاقتصادية المهتمة بسوريا محرّضًا اياها على التدخّل بكل ثقلها المادي والمعنوي لإنجاح مشروعه – الذي هو مشروعها – فيشارك في مؤتمر مرسيليا حول سوريا ويلقي فيه محاضرة ، ويشارك في إلقاء محاضرات عدة منها واحدة في ليون[99].

– كما قام بأسلوب إغراق مؤتمر الصلح بالعرائض المؤيّدة لمشروعه . «أرجو ان أتمكّن – يقول – من التأثير على مؤتمر الصلح بإرسال عدد كبير جدًا من العرائض الممهورة في بعض الأحيان بتواقيع الأسماء نفسها»[100] . وكان دائمًا يشدّد من عزيمة كليمنصو لمواجهة الضغط الانجليزي ، ففي ١٢ كانون الأول ١٩١٨[101] يرسل الى كليمنصو برسالة يشكو فيها من تردّي الأوضاع في سوريا وضعف الفرنسيين فيها بالنسبة للنفوذ الانجليزي . بينما كان كليمنصو قد أكّد له حرص حكومته على تطوّر سوريا نحو حضارة هادئة ، مع حتمية دفاعها عن الأمة السورية الى أقصى حدّ أمام الحلفاء[102] . غير ان غانم يعود ويستحلف كليمنصو – باعتبار انه أمسك المسألة السورية بيده – ان يؤمّن لها حلاً ينسجم مع مصالح فرنسا ، وهذا ما ينسجم مع مصالح سوريا بأكملها[103] . غير ان تحرّك غانم على مستوى المهاجرين السوريين واللبنانيين يستمر بالتصاعد[104] ، فيقدّم في ١٠ كانون الثاني ، أي عشية انعقاد مؤتمر الصلح ، الى وزير الخارجية الفرنسي برقيات

٩٧. من حقنا ان نتساءل هل ان أهميته نابعة من شخصيته المثقفة أم من كونه ممثلاً للقوى الاقتصادية الفاعلة في وزارة الخارجية ، أم ان أهميته نابعة عن السببين معًا ؟؟ على كل حال ان الوثائق المتعلّقة بغانم تسمح بتحضير أطروحة دكتوراه عنه بكل سهولة .

٩٨. A.E., V. 2, p. 217

٩٩. A.E., V. 7, p. 239

١٠٠. A.E., V. 7, p. 221

١٠١. A.E., V. 5, p. 242

١٠٢. A.E., V. 5, p. 2

١٠٣. A.E., V. 6, p. 158

١٠٤. خاصة من خلال الجمعيات الملحقة به في نيويورك ومصر وباقي مناطق الاغتراب في أميركا .

المغتربين الذين يتمنّون تكليف وزير الخارجية (الفرنسي) الطلب من مؤتمر الصلح أن يوكل الى فرنسا أمر تنظيم سوريا بكاملها ضمن نظام فدرالي»[105].

على صعيد آخر كان يتّصل غانم ببعض مراكز التأثير العسكرية ؛ في رسالة منه الى (فرانشي ديسبري) يقول : «أذكر يا حضرة الجنرال كلمة رئيس أركان الجيش الفرنسي : سوريا بعد متز وستراسبورغ»[106] .

ولكن مع التطورات التي عرفتها المسألة السورية على نحو مغاير للمصالح الفرنسية قدّم غانم الى بيشون احتجاجًا على إرسال لجنة[107] لاستفتاء شعوب المنطقة باعتبار انها تعقّد الوضع وتحرّكه بدلاً من تهدئته[108] .

ومنذ حزيران تميل رسائل غانم للتشاؤم فهو يحتجّ على عدم الجواب على رسائله من وزارة الخارجية ويطلب اذنًا بفرصة بسبب الارهاق الذي يعانيه[109] . كما يتأفّف من زميله في اللجنة المركزية جورج سمنه لأنه لا يقوم بواجبه في وزارة الخارجية . وينهي رسالته بالتأسّف لأنه أرهق صحته وأضاع وقته وبذل من الآلام والأحزان بدون طائل[110] .

II . حزب الاتحاد السوري Parti de l'Union Syrienne

الحزب الثاني الذي نشأ في هذه الفترة والذي كان يعمل للوحدة السورية هو حزب الاتحاد السوري . ويبدو أنه كان يتشكّل من مجموعة من النخب الفكرية من طوائف متعدّدة ، والبرنامج الذي كان يسعى لتحقيقه هو وحدة سوريا على أساس اللامركزية والوصول الى الاستقلال التام .

أ) مؤسّسو الحزب :

أورد تقرير[111] لجهاز الاستخبارات التابع للبحرية الفرنسية في المشرق المعلومات التالية . «هناك حزب سوري جديد يبرز الى الوجود ، على رأسه لجنة مؤلّفة من شخصيات غنية جدًا ، ومن صحفيين سوريين في مصر . ومنهم :

ميشال بك لطف الله ، رئيس النادي السوري في القاهرة

ادوار كرم ، ملاّك كبير في الاسكندرية

١٠٥. A.E., V. 7, p. 183-189

١٠٦. A.E., V. 7, p. 221 (13 janv. 1919)

١٠٧. اللجنة التي سُمّيت فيما بعد لجنة كينغ – كراين .

١٠٨. A.E., V. 12, p. 66

١٠٩. A.E., V. 13, p. 274-278 (18 juin 1919)

١١٠. A.E., V. 15, p. 40-44 (18 juillet 1919)

١١١. A.E., V. 7, p. 199 (9 janv. 1919)

يعقوب صرّوف وفارس نمر، أصحاب ومالكي «المقطم» ومجلة «المقتطف» ومن قدامى طلاب الجامعة الأميركية ببيروت

سليم تقي الدين، درزي

محب الدين الخطيب، مدير الصحيفة العربية «القبلة» التي تصدر في مكة

فؤاد الخطيب، المندوب الدبلوماسي لمملكة الحجاز في القاهرة

الشيخ رشيد رضا، صاحب ومدير مجلة «المنار»

عباس المصري.

أما تقرير[١١٢] (مالزاك) حول السوريين في مصر فقد جاء فيه:

«... ثم هناك حزب الاتحاد السوري الذي تأسّس سرًّا برئاسة ميشال بيك لطف الله، شقيق الكولونيل لطف الله الذي أُبعد من طنجه في ايار ١٩١٨، وهو ذو اتجاهات قومية وعروبية (...) هذا الحزب يتألّف من أعضاء كانوا ينتمون الى تجمّعات ثلاث:

– اللجنة السرية العربية التي كانت موضوع تقرير رفعناه للوزارة رقمه ١٨١ بتاريخ ١٥ حزيران ١٩١٨.
– والاتحاد اللبناني.
– ونادي الوحدة السورية وهو تجمّع لا لون سياسي له، تمكّن ان يجمع في القاهرة مسلمين ومسيحيين سوريين من طوائف عدة.

مديرا المقطم الدكتورين نمر وصروف، ورئيس تحرير الاهرام داود بركات، ومدير المكتب العربي (...) نعوم شقير، رفيق بيك العظم، الدكتور شهبندر، الشيخ رشيد رضا والشيخ كامل القصاب، والأربعة هم من الصحفيين المسلمين المعروفين، وهم من واضعي نظام الحزب مع اسكندر بيك عمون، الرئيس السابق للاتحاد اللبناني. هذا الحزب يريد القيام بدعاية ناشطة لأفكاره، في سوريا من خلال توسيط رجال يدخلون في حاشية الأمير فيصل، وفي أوروبا من خلال بعض السوريين الدائرين في فلك الانجليز من مثل هـ. زغيب الذي تبجّح بأنه حمل الفرنسيين نفسهم على إلغاء اتفاقية سايكس – بيكو مع فسح المجال حرًّا للتيار العربي في سوريا.

والحزب الجديد يتكل على دعم انجلترا، وهي التي بشرت به بشكل شبه رسمي من خلال مراسلي الدبلي ميل والتايمز في القاهرة، كما قدّمت الدعم المالي له من أجل بث الدعاية لقيام سوريا الكبرى ولاحقًا قيام كونفدرالية دول عربية. ان العون الانجليزي هو بالتأكيد ما يهدّد نفوذ فرنسا في أوساط السوريين، وتحرّك هذا التجمّع سيصطدم بانكفاء المسيحيين غير المتأثّرين بالنفوذ الانجليزي، وذلك بسبب هيمنة المسلمين على قيادته.

في تقرير آخر[١١٣] عن هذا الحزب نجد أسماء لم يوردها التقريران السابقان وأبرزها: خليل

١١٢. A.E., V. 7, p. 160 (9 janv. 1919)
١١٣. A.E., V. 7, p. 191 (10 janv. 1919)

خياط، دكتور مشاقة، أ. مختار الصلح، خالد الحكيم، ثابت ثابت، عوض مفرّج، جاد الله سوسة، حنا كنعان، عيسى طنوس. وتضيف احدى الوثائق[١١٤] أسماء اخرى من مثل: حسن بك خالد، وهبه أليسا، باديا بك كربا، أسعد مفرّج، شبلي جمل[١١٥]، سليم سركيس، نقولا حداد.

ب) برنامج حزب الاتحاد السوري في القاهرة:

تألّف برنامج[١١٦] الحزب من النقاط التالية:

١. تشكّل سوريا بمجموعها متحدًا قوميًا عربيًا، تمتد من طوروس في الشمال، من الخابور والفرات في الشرق، ومن بادية الشام ومدائن صالح في الجنوب، ومن البحر الأحمر – خط العقبة – رفح والبحر المتوسط في الغرب.
٢. تتمتّع سوريا باستقلال تام، مضمون من عصبة الأمم، وهذه العصبة تضمن ايضًا دستورها وتحمي استقلالها.
٣. تكون عصبة الأمم مرجع حكومة البلاد في طلب الاختصاصيين في بعض المناصب الاستشارية الهامة، وذلك تبعًا لما تراه هذه الحكومة من ضرورة.
٤. تتبع الحكومة السورية مبادئ الديمقراطية اللامركزية، وترتكز قوانينها وأنظمتها على أساس مدني صرف، باستثناء قوانين الأحوال الشخصية التي تبقى على حالها.
٥. يستمر العمل بالأنظمة والقوانين المعمول بها حاليًا حتى موعد اجتماع الجمعية الوطنية العامة الممثّلة للشعب، اذ تقوم هي، عندئذٍ، بإعادة النظر بهذه القوانين او تستبدلها بأخرى ملائمة لمصلحة البلاد ولروحية النظام المدني الجديد.
٦. تقسم البلاد، إداريًا، الى ولايات مستقلة ذاتيًا، ولكنها مرتبطة مع بعضها لتأمين المصلحة العامة. في هذه التقسيمات تراعى عوامل التقاليد والجغرافية والخصائص المحلية (فلسطين، جبل حوران، تقاليد البدو والنصيرية في ولايات حلب ودمشق ودير الزور) وتقاليد لبنان في حدوده الطبيعية وامتيازاته القديمة.
٧. كل ولاية يكون لها مجلس تمثيلي خاص منتخب من قبل السكان على نحو يحفظ حقوق الأقليات. وتجرى الانتخابات كل أربع سنوات. من مهمات هذا المجلس الاهتمام بشؤون الولاية وتنظيم شؤونها الداخلية بما يتلاءم مع مصلحتها شرط ان لا يتناقض ذلك مع القوانين العامة للبلاد.

١١٤. A.E., V. 7, p. 167-169
١١٥. ربما يكون شبلي شميل أيضًا.
١١٦. A.E., V. 7, p. 167-169

٨. تشكّل الولايات ولبنان حكومة مركزية تكون عاصمتها دمشق صيفًا وبيروت شتاءً. هذه الحكومة تكون مسؤولة امام الجمعية العامة للبلاد.

٩. يكون للبلاد مجلس تمثيلي عام يتألّف من أعضاء منتخَبين من قبل المجالس الإدارية في الولايات، وذلك على أساس نسبة واحد لكل ثلاثة.

هذا المجلس يجتمع مرة في السنة، في مقر الحكومة للمناقشة في شؤون البلاد والاهتمام بمصالحها العامة، واصدار القوانين الضرورية والملائمة.

١٠. كل ولاية تشكّل شرطة محلية لفرض الأمن في الداخل، والحكومة تحضّر قانونًا خاصًا حول مسألة التجنيد العام.

١١. كل الوظائف الحكومية توكل الى الأكثر كفاءة من المواطنين، وذلك ضمن حدود المادة الثانية من هذا البرنامج.

١٢. سيتمّ اعتماد برامج تربوية موحّدة لكل البلاد، وتكون قاعدتها الروح الوطنية دون تفريق بين الطوائف والأديان.

١٣. كل ولاية تقتطع من مداخيلها الضرائبية الخاصة مصاريف حكومتها. أما بالنسبة للمداخيل الناتجة عن الجمارك، والبرق والبريد، وسكك الحديد، والمناجم والزوارق، فتجمع من قبل الحكومة المركزية للبلاد، الأمر الذي يسمح لها القيام بأعباء المصالح العامة.

١٤. عندما تتوصّل الأمة العربية الى تشكيل اتحاد كونفدرالي، فان سوريا ستنضم إليه بشرط ان لا يؤثّر ذلك على وحدتها الوطنية الخاصة ولا على شكل حكومتها.

ج) تحرّك الحزب:

بعد أن أعلن الحزب عن برنامجه في اوائل كانون الثاني ١٩١٩[١١٧]، قدّم رئيسه ميشال لطف الله لائحة بأسماء اللجنة التنفيذية المركزية الى السلطات الفرنسية[١١٨]، كما قام لطف الله بارسال برقية الى كليمنصو يذكر فيها مبادئ الحزب[١١٩]، ثم يرسل مذكّرة الى كليمنصو ايضًا يطرح فيها تصوّره لسوريا الموحّدة والمستقلة[١٢٠].

ولما كانت السلطات الفرنسية قد اتّخذت إجراءات مشدّدة بمنع الأشخاص او الوفود – الذين لا ترضى عنهم – من الذهاب الى باريس لعرض قضاياهم أمام مؤتمر الصلح فاننا نجد سؤالاً من شكري غانم يتقدّم به الى (جان غوت) في الخارجية الفرنسية يسأله عن إمكانية

١١٧. A.E., V. 7, p. 191-194

١١٨. A.E., V. 8, p. 64 (23 janv. 1919)

١١٩. A.E., V. 8, p. 117 (25 janv. 1919)

١٢٠. A.E., V. 9, p. 10-12 (1 fév. 1919)

السماح للطف الله بالدخول الى باريس[١٢١]، وذلك استجابةً لالتماس قدّمه لطف الله نفسه – الموجود في مدريد – الى غانم، يعرض فيه صعوبة مجيئه الى باريس ويطلب منه التوسّط له مع الحكومة الفرنسية للمجيء الى باريس وابلاغ مؤتمر الصلح أماني حزبه[١٢٢].

III. جمعية سوريا الجديدة الوطنية Nouvelle Ligue Nationale Syrienne

إذا كان مفهومًا ان تقوم جمعيات وأحزاب مدعومة من فرنسا او انكلترا، وتطرح برامج حول مستقبل المنطقة تنسجم مع مصالح هاتين الدولتين الكبيرتين، فمن الملفت للباحث أن تقوم جمعيات، في هذه الفترة (١٩١٩ – ١٩٢٠) تدعو لوحدة سوريا تحت الوصاية الأميركية. علمًا أن أميركا لم تكن بعد قد أصبحت دولة كبرى تسعى لايجاد مناطق نفوذ خارج القارة الأميركية.

أ) مبادئ الجمعية:

جاء في النص الأساسي لمبادئ هذه الجمعية[١٢٣]:

«بناء على كون دول الأحلاف أعلنت مرارًا وبكلام لا يقبل الالتباس اتّخاذها أساسًا للصلح ولتقرير نظام الأمم المبادئ التي صرّح بها الرئيس ولسن باسم حكومة الولايات المتحدة والتي تقضي بتحرير الشعوب الصغيرة المستعبدة وتدريجها في الارتقاء الذاتي الى ان تتمكّن من ان تحكم نفسها بنفسها دون تداخل أجنبي او معارضة خارجية.

وبناء على كون شعبنا السوري الذي حافظ على جنسيته وقوميته ولغته وعاداته محافظة تامة مدة أربعة قرون قضاها تحت نير التركي الظالم هو احدى تلك الأمم التي تحرّرت وبالتالي نالت حق تقرير مستقبلها.

وبناء على كون الولايات المتحدة الأميركية في كل تاريخ علاقاتها مع الدول والأمم الأجنبية وبفضل دستورها ومبادئ أهلها وبشهادة معاملتها لكوبا وغيرها لا تقبل ابدًا على عمل دولي لتنتفع بل لتنفع وتخدم ولتنجلي عن البلاد متى استطاع أهل البلاد إدارة شؤونهم التامة.

وبناء على كون الولايات المتحدة محرزة ثقة كل الدول يؤمّنونها على مصالحهم ولا يشكون بوعودها وليست مقيّدة بمعاهدات دولية تغلّ يديها عن العمل.

وبناء على كون الولايات المتحدة محبوبة من الشعب السوري ومستعدة لمساعدته.

بناء على كل ذلك ورغبةً في وضع خطة تكفل نجاح بلادنا وتعود على أبنائها بالخير والسلام قرّرنا وضع المبادئ الآتية والعمل لتحقيقها:

١٢١. A.E., V. 12, p. 49 (15 avril 1919)

١٢٢. A.E., V. 12, p. 50

١٢٣. A.E., V. 9, p. 205

١. عدم إرجاع الحكم التركي الجائر الى سوريا اسمًا او فعلاً.
٢. جعل سوريا برمتها من جبال طوروس الى صحراء سيناء ومن بحر الروم الى الصحراء والفرات، بلادًا حرة مستقلة دون تمييز بين الطوائف والشعوب، مؤلّفة من مقاطعات لكل منها هيئة حكم إدارية توافق أحوالها.
٣. وضع البلاد تحت وصاية وتدبير الولايات المتحدة الى ان يتمكّن السوريون من الحكم الذاتي التام.

الدكتور جورج خيرالله، رئيس
الدكتور فيليب حتي، كاتم أسرار عام
١٢ شباط ١٩١٩»

ب) تحرّك التيار السوري المؤيّد للوصاية الأميركية:

يبدو أن نشاط جمعية سوريا الجديدة الوطنية لم يكن معزولاً عن جملة تحرّكات حصلت في أماكن الاغتراب اللبناني. فثمة تقريران[١٢٤] من مصر يشيران الى وجود تيار يقوده نمر باشا (صاحب المقطم)، المتأثر مع غيره بآراء هوارد بلس، يطالب بالوصاية الأميركية على مجمل سوريا ويعتبر أن الوجود الفرنسي يقسم سوريا الى ثلاث مناطق: لبنان، المنطقة الشريفية، وفلسطين. وهناك برقية من نمر باشا الى مؤتمر الصلح يدعو فيها لوحدة سوريا تحت الوصاية الاميركية[١٢٥].

حتى ان أميركا الجنوبية شهدت تحرّكًا واسعًا بين المغتربين يدعو للوحدة السورية مع الوصاية الأميركية. ومن دعاة المؤتمر الذي أطلق هذه الدعوة: داود مجاعص من لاباز، وهو الذي حضر المؤتمر، والسيد بالش رئيس الرابطة السورية في سنتياغو، والبرازيل أرسل (سوزا) والأرجنتين الدكتور (خليل) سعاده، وألبيرو ابو خاطر، وبوليفيا مجاعص[١٢٦].

ثانيًا: بعض التيارات ذات التوجّه اللبناني

لقد ركّز الباحثون في التاريخ اللبناني، عادةً، على دور الوفود اللبنانية وكونها الممثّل للتيارات الشعبية المسيحية بشكل خاص. ولكن من خلال وثائق وزارة الخارجية، يبدو ان هناك

---

١٢٤. A.E., V. 7, p.10, p. 104-105 et p. 108 – والتقريران بتاريخ ٢٨ شباط وأول اذار ١٩١٩.
١٢٥. A.E., V. 10, p. 159-160
١٢٦. A.E., V. 12, p. 148 (24 avril 1919)

جمعيات وحركات كان لها وزنها على مستوى المثقفين وعلى مستوى القاعدة الشعبية المسيحية. وقد حاولت هذه الجمعيات والحركات ان تواجه التيار الداعي لضم لبنان الى وحدة سورية، مراهنة في صراعها على مجمل عوامل داخلية لبنانية وعلى متغيّرات تتصل بالصراع الانجليزي – الفرنسي في المنطقة، وبنوع خاص عملت على التأثير في القرار الفرنسي – على مستوى وزارة الخارجية ومواقع النفوذ الأخرى – ويبدو أن مسار الأحداث، لاحقًا، كان الى جانبها.

ما هي أهم هذه الأحزاب والحركات؟

١. حزب الاتحاد اللبناني

لقد كان حزب الاتحاد اللبناني من الجمعيات اللبنانية التي لعبت الدور الأساسي في طرح المسألة اللبنانية بأفق استقلالي قبيل الحرب العالمية الأولى، وابانها وبعدها. وبالرغم من الدراسات الكثيرة التي وُضعت حول هذا الحزب، ومنها أطروحات جامعية، فالمجال لا يزال واسعًا لمزيد من البحث والتنقيب. وسنحاول إلقاء بعض الأضواء الجديدة على نشاط الحزب، بين عامي ١٩١٨ – ١٩٢٠، وذلك انطلاقًا من وثائق ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية.

أ) حول السياسة العامة للحزب

بعد أن تمّ تقاسم النفوذ في السلطنة العثمانية بين الدول المتحالفة (بريطانيا، فرنسا، روسيا وايطاليا)، وذلك عبر مراسلات عديدة تبودلت خلال الأعوام ١٩١٤ – ١٩١٦، كانت سوريا ولبنان من المناطق التي أُعطيت لفرنسا. وفي ضوء ذلك شدّد الفرنسيون من اهتمامهم بالقوى السياسية والطائفية والفكرية الفاعلة على الصعيد اللبناني خاصة والسوري بشكل عام.

في ٧ تموز ١٩١٨ أرسل التحري الفرنسي في القاهرة تقريرًا مفصّلاً عن المهرجان الذي عقده حزب الاتحاد اللبناني في القاهرة، وتكلّم فيه أوغست باشا أديب، وعباس أفندي المصري، ويوسف السودا، ثم انطون الجميل سكرتير الاتحاد[١٢٧].

وفي ٥ أيلول ١٩١٨ أرسل الضابط الفرنسي الكبير كولوندر (Coulondre)، عن البرنامج السياسي للاتحاد اللبناني، تقريرًا يبرز فيه ان هذا الحزب يطالب بالاستقلال التام للبنان تحت حماية الدول الكبرى، بما فيها المانيا والنمسا[١٢٨].

ويرسل قنصل فرنسا في الاسكندرية بونزون (Bonzon) بتاريخ ٢ كانون الثاني ١٩١٩ تقريرًا يذكّر فيه بالدسائس المفرقة في خصومتها من قبل حزب الاتحاد، وسياسته الاستقلالية وارتباطاته المتنوعة مع الحزب الشريفي. ويورد القنصل معلومات وصلته حديثًا عن تسمية ثلاثة،

---

١٢٧. A.E., V. 1, p. 182
١٢٨. A.E., V. 1, p. 252-256

من أكبر أعضاء الاتحاد نفوذًا، مستشارين للأمير فيصل وهم: أديب باشا، رئيس الاتحاد اللبناني، شقير باشا، واسكندر عمون... ويستدرك القنصل ان داود عمون هو على خلاف مع شقيقه ويقود سياسة مناقضة له، وان اسكندر سيختاره الأمير فيصل مندوبًا عنه في مؤتمر الصلح بباريس[129]. واسكندر عمون، الذي سيصبح فيما بعد وزيرًا للعدلية في الحكومة الفيصلية الأولى، تبرزه التقارير الفرنسية المختلفة كأحد أبرز أخصام السياسة الفرنسية الخطرين في هذه المرحلة[130].

وفي ٩ كانون الثاني ١٩١٩ يرسل قسم الاستخبارات في البحرية الفرنسية العاملة في المشرق تقريرًا عن تصاعد نفوذ حزب الاتحاد اللبناني في مختلف المناطق اللبنانية، وانتشار الداعين لبرنامجه[131].

ويقدّم لي فيفر – بونتالي (Lefèvre-Pontalis) وزير فرنسا المفوض في مصر الى بيشون (Pichon) وزير الخارجية تقريرًا عن التيارات السياسية في أوساط «الشوام»[132] الموجودين في مصر، وتاريخ هذا التقرير هو في ٩ كانون الثاني ١٩١٩. جاء في التقرير[133]:

«يوجد حاليًا في مصر ثلاث جمعيات سورية، ولكن باتجاهات مختلفة، وهي تقوم بنشاطاتها في القاهرة والاسكندرية بشكل رئيسي. احداها مؤيّدة لفرنسا وتدعى اللجنة اللبنانية – السورية... وتيار حزب الاتحاد اللبناني الذي يصفه بأنه غير محب لفرنسا (فرانكو فوب) وانه ذو اتجاهات قومية. ويتهم السلطات الانجليزية بأنها وفّرت الحرية الكاملة لنشاط هذا التيار منذ ما يقارب العام، غير عابئة بانعكاس ذلك على مصالحها، بالنسبة لتقوية التيار القومي المصري على نحو مماثل. ويقول ان جريدة «الأمة» الناطقة الرسمية باسم الاتحاد اللبناني، وهو يضم مجموعة من العاملين في الإدارة المصرية، تهاجم باستمرار اطروحة التدخّل الفرنسي في لبنان وتمجّد السياسة الانجليزية في الشرق ضمن خلفية الانتفاع المالي. ولا يبدو ممكنًا بأي حال، أن يلعب هذا التجمّع الدور الفعّال في تسوية المسألة اللبنانية، خاصة بعد أن قرّر مجلس الإدارة إرسال وفد الى فرنسا. وتأثيره، بالتالي، محدود خارج مصر بالرغم من الجهود التي يبذلها حتى الآن».

وفي السياق نفسه يقدّم الكومندان سارو (Sarrou) تقريرًا آخر حول السوريين واتجاهاتهم في مصر (١٣ كانون الثاني ١٩١٩)، فيشير الى ان المطران دريان يتزعّم الاتجاه المؤيّد لفرنسا، واما الاتجاه المعارض لها فيتألّف من الاتحاد اللبناني، المدعوم من قبل الانجليز، وقد حوّل عمله الى السرية[134].

١٢٩. A.E., V. 7, p. 55
١٣٠. A.E., V. 7, p. 34 et V. 14, p. 20
١٣١. A.E., V. 7, p. 199
١٣٢. هذه هي الصفة التي كانت تُطلق على المهاجرين من سوريا ولبنان الى مصر.
١٣٣. A.E., V. 7, p. 159-162
١٣٤. A.E., V. 9, p. 54

وفي التاريخ نفسه (١٣ كانون الثاني ١٩١٩) ترسل الدوائر الديبلوماسية الفرنسية في مصر ببعض المعلومات عن حزب الاتحاد اللبناني، ومما جاء فيها[135]:

«لقد سمحت السلطات الانجليزية المحلية للجنة المركزية لحزب الاتحاد اللبناني في القاهرة ان ترسل الى أوروبا – بناء على طلبها – وفدًا يطرح أمام حكومات الحلفاء مطالب «الاتحاد» المتعلّقة بمستقبل لبنان. ولكن المأزق الذي يواجهه الحزب هو تأمين المال الكافي لسفر مندوبه الى أوروبا».

وفي تقرير آخر[136] عرض لطلب لجنة الاتحاد اللبناني من السلطات الانجليزية السماح لها بإرسال وفد من أعضائها الى لبنان. غير ان أي جواب من قبل الانجليز لم يتم. وهذه اللجنة، بدورها، تعدّ مذكرة بمطاليبها: الاستقلال التام الناجز للبنان ضمن حدوده الطبيعية مع حماية الدول الكبرى مجتمعة. هذه المطالب سيقدّمها الاتحاد قريبًا، الى الدول الحليفة والى مؤتمر الصلح، وذلك باسم جميع اللبنانيين، وجميع الشهداء الذين ماتوا من الجوع والمرض، شهداء الظلم والطغيان التركي ابّان الحرب.

ومن بين المسؤولين عن هذا الحزب في الاسكندرية يعرض التقرير الأسماء التالية:

يوسف السودا، رئيس، مهنته محام في الاسكندرية
توفيق طنوس، سكرتير (يقال بأنه استقال)، وهو صاحب ومدير جريدة «الأمة»
سمعان سابا، أمين الصندوق، وهو تاجر تبغ
الدكتور نجيب فرح، الدكتور خليل صافي، سليم زند، مراد السودا (محام بالاسكندرية)، اسكندر نعمه (تاجر)، يوسف قشمه (تاجر تبغ)، سليم العظم (الترجمان السابق لسفارة ايران)، عباس المرصني[137] محرّر في جريدة «ذي إجيبتيان غازيت» (The Egyptian Gazette) ومراسل جريدة الاهرام في الاسكندرية، كل هؤلاء أعضاء.

أما اللجنة الاستشارية فهي مؤلفة من اسكندر الحاج بطرس، توفيق اسكندر ونصرالله عساف.

وبينما نجد تقريرًا من (بونتاليس) القنصل الفرنسي في القاهرة، يعتبر فيه رئيس الاتحاد اللبناني أديب باشا معارضًا النفوذ الفرنسي ومؤيّدًا للنفوذ الانجليزي[138]، نجد تقريرًا آخر من مخابرات البحرية يصف حزب الاتحاد اللبناني، ويوسف السودا أحد زعمائه، بالاستقلال في الآراء والمواقف[139].

١٣٥. A.E., V. 7, p. 144
١٣٦. A.E., V. 7, p. 40
١٣٧. هو نفسه عباس المصري.
١٣٨. A.E., V. 10, p. 54
١٣٩. A.E., V. 7, p. 27-32

ب) تحرّك الحزب مع فروعه:

لم يقتصر نشاط الاتحاد اللبناني على القطر المصري وانما تعدّاه الى مختلف بلدان الاغتراب، وبخاصة في الوطن الأم. فهذه برقية من فنزويلا الى مؤتمر الصلح موقّعة بامضاء سليمان بو صادر تطالب باستقلال لبنان التام مع إعادته الى حدوده الطبيعية[١٤٠]. وبالمعنى نفسه والى المرجع نفسه، ثمة برقية اخرى من فرع الاتحاد في بوينس ايرس[١٤١]. أما المذكّرة البالغة الأهمية والتي يمكن اعتبارها «خطابًا سياسيًا» يعكس المرتكزات الفكرية التي قام عليها «حزب الاتحاد»، فهي المذكّرة التي أرسلها أوغست أديب رئيس الاتحاد وانطوان الجميل السكرتير العام، وقد أرسلت من مصر بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٩. وسنوردها بحرفيتها لأهميتها الاستثنائية:

«حضرة الاخوان الأفاضل والمواطنين الكرام رئيس وأعضاء الجمعية اللبنانية في باريس.

بمزيد السرور والابتهاج تلقّينا كتابكم المؤرّخ في ٢٨ كانون الثاني ١٩١٩ الحامل إلينا بشرى اجتماع اللبنانيين في باريس وعقدهم العزيمة على المطالبة باستقلال لبنان استقلالاً تامًا. وقد أشرتم في كتابكم المذكور الى برقية سبق لكم إرسالها إلينا بهذا الخصوص ولكن تلك البرقية لم تصل الى الآن. وما أسفنا لعدم وصولها إلاّ لأنه ترتّب على ذلك تأخّرنا عليكم بالرد عن غير قصد منا.

نحن نهنّئكم ايها الاخوان بنهضتكم الوطنية ونهنّئ لجنتكم التي وضع المواطنون ثقتهم بها للدفاع عن حقوق الوطن العزيز ونرجو لكم كل نجاح وفلاح في خدمة قضية لبنان التي كثر المخاصمون فيها. نحن قمنا بهذه النهضة منذ مدة وبذلنا كل مجهودنا في سبيل تعزيزها وتأييدها لأننا لم نشأ أن نترك الفرصة السانحة تمرّ دون أن نقوم بالواجب المقدس على كل لبناني حر نحو وطنه. فحالما سمحت الأحوال أعلنا برنامجنا السياسي قبل كل جمعية وجاهرنا بطلب استقلال لبنان التام ضمن حدوده الطبيعية بضمانة الدول او عصبة الأمم التي أخذت على عاتقها الدفاع عن الشعوب الصغيرة بعد إنالتها حقوقها. واذا كل شعب قد نهض يطلب لنفسه الاستقلال والانعتاق من السيادة. أليس ذلك أحرى باللبنانيين الذين ما برحوا متمتعين على كرّ الدهور باستقلالهم الإداري او التام فيطلبوا ذلك الاستقلال الآن – بعد تقلّص السيادة التركية – كاملاً خالصًا من كل نقص حفظًا لتقاليدهم وصيانة لقوميتهم. هذه كانت مطالبنا من الدول نصيرة الحق وعاضدة الأمم الصغيرة معتقدين انه لا يجوز للوطني الصادق أن يطلب لبلاده غير الحرية والاستقلال ورفعها الى مصاف البلدان الراقية لا ابقاءها تحت الوصاية والإشراف الغريب. وقد تصدّى لنا كثيرون في سبيلنا وأقاموا بوجهنا العقبات لغايات في النفس واختلقوا علينا الأراجيف حتى ان بعض الكتّاب عندكم رمانا علنًا بالخيانة والمروق عن الوطنية. واذا كان من يطلب الاستقلال لبلاده يعدّ خائنًا فبأي نعت يُنعت من يطلب لها الاستعباد وان كان يستره بألفاظ منمّقة. حاول الخصوم بنوع خاص تسويد صحيفتنا في عين فرنسا نحاولين إظهار تلك الأمة الشريفة بغير مظهرها الحقيقي هي

A.E., V. 125, p. 14 .١٤٠

A.E., V. 7, p. 216 .١٤١

التي طالما مدّت يدها لكل شعب نهض ليستقل وساعدت في الماضي على تأييد استقلالنا، لم يرض هؤلاء الغلاة دليلاً على حبنا لفرنسا إلاّ تضحيتنا باستقلالنا وتقاليدنا وقوميتنا وطالما قلنا لهم: نحن نحب فرنسا أكثر مما تحبونها ولكننا نحب وطننا أكثر منها وهي لا تريدنا إلاّ كذلك. على ان هذه الوشايات جازت لسوء الحظ على بعض طلاب الاستعمار فوقفوا بوجهنا موقف المعاكس مخالفين في ذلك تقاليد بلادهم الحرة. على اننا لم نتزعزع عن مبدأنا وواصلنا ولا نزال مواصلين السعي لبثه وحمل اللبنانيين على اعتناقه والدول على إقراره.

ولكن ما لنا اليوم وإعادة تذكارات الماضي فالوقت وقت عمل وتطلّع الى المستقبل بيد اننا نقول لكم اننا أثناء جهادنا كنا دائمًا نتطلّع بالفكر الى مواطنينا النازلين في باريس لما نعرفه في الكثيرين منهم من صدق الوطنية والغيرة القومية وكنا واثقين ان تلك القوى المستكنة ستندفع الى العمل بعزم وهمّة عندما يُتاح لها ذلك فتنهض لإسماع صوتها عاليًا مسكتًا لكل صوت يطلب غير مطلبنا. فلم يخب ظننا بكم يا سلالة اللبنانيين الأماجد الذين طالما سفكوا دماءهم صونًا لحريتهم في جبالهم المنيعة. حققتم الآمال المعقودة عليكم فبارك الله فيكم وأخذ بيدكم في عملكم الشريف. انه كان يعزّ علينا أن تكون الآن باريس ملتقى وفود الشعوب والأمم وكل تلك الوفود تطلب لبلادهم الحرية من غير قيد وتنشد لأقوامها الاستقلال المطلق ولا يكون للبنان من يطلب له إلاّ الاستعباد والتجرّد من شخصيته المستقلة. ولكن لا لن يدون التاريخ هذا العار على اللبنانيين في هذه السنة العظيمة في تاريخ الإنسانية، فانه لم يحرم من أبنائه من يسمع صوته في نشيد الحرية العام ومن يضع حجرة في بناء الاستقلال الضخم.

أما نحن فحال وصول كتابكم إلينا نقلنا بشراه الى سائر فروع الاتحاد اللبناني في القطر المصري وأرسلنا إليكم تلغرافًا هذا نصه:

«Comité Libanais, 13 rue Chabrol, Paris. D'accord sur programme. Donnons mandat agir notre nom. Cablâmes Société[١٤٢] Amérique vous donner mandat. Lettre suit.»

وبالفعل أرسلنا في الوقت نفسه تلغرافات الى جمعياتنا في البرازيل والارجنتين وكندا التي كانت طلبت منا ان نمثّلها فأخبرناها بتأليف جمعيتكم على قاعدة استقلال لبنان التام بحدوده الطبيعية وطلبنا منها أن تنوبكم عنا تلغرافيًا كما نوبناكم عنا وعسى أن تكونوا الآن قد استلمتم الردود اللازمة لمباشرة العمل باسم اخوانكم ايضًا.

نحن قائمون بالمساعي اللازمة للسفر الى لبنان والحصول على تفويض من الشعب فاذا تيسّر لنا ذلك سنسرع الى إفادتكم كما انه اذا تيسّر لأحدنا السفر الى باريس فانه سينضم إليكم. هذا ورجاؤنا ان تواصلونا بأخباركم وتفضّلوا بقبول تحياتنا مشفوعة بالدعاء لكم بالنجاح التام.

السكرتير العام: انطوان الجميل رئيس الاتحاد اللبناني: أوغست أديب[١٤٣]

١٤٢. ربما يقصد Cablogramme أي برقية.

A.E., V. 9, p. 123-125 .١٤٣

ج) تحرّك الاتحاد باتجاه مؤتمر الصلح :

على أثر انتصار الحلفاء، بادر حزب الاتحاد اللبناني بإرسال برقية التهنئة التالي نصها :

«الاتحاد اللبناني يحيّي انتصار الحلفاء في سوريا ويؤكّد الاستقلال التام للبنان بحدوده الطبيعية بحماية القوى الكبرى».

أديب – رئيس الاتحاد[١٤٤]

١٣ تشرين الأول ١٩١٨»

وفي ٥ كانون الثاني ١٩١٩ يرسل الاتحاد مذكرة[١٤٥] مطوّلة الى كليمنصو رئيس مؤتمر الصلح. ولأن هذه المذكّرة تعكس موقفًا متشدّدًا في استقلاليته من جهة، ولأن ثمة تعمّد، في مختلف المراجع الدراسية لتاريخ لبنان في هذه الفترة بتجاهل هذا الموقف، وجدنا من اللازم عرض كامل هذه المذكرة[١٤٦].

رسالة موجّهة الى السيد ج. كليمنصو رئيس مجلس الوزراء – باريس

«سيدي الرئيس،

بعد أن تحمّل لبنان، طيلة أربع سنوات، آلامًا يعجز القلم عن وصفها، وفَقَد قرابة نصف سكانه، بفعل المجاعة التي نفّذت بتنظيم دقيق، وبتأثير الأوبئة، تحرّر أخيرًا من السيطرة العثمانية، على يد جيوش الحلفاء المظفّرة، ثم أُعيدت حكومته على ما كانت عليه قبل الحرب، وفق النظام الأساسي (١٨٦١ – ١٨٦٤) الذي وقّعت عليه الدول الكبرى. ومما لا شك فيه، ان هذا النظام، الذي كان في الأساس مؤقتًا، لأنه وليد التبعية التي ربطت لبنان بالامبراطورية العثمانية، سيعدّل عند إقرار الصلح. وتطبيقًا للمبدأ الذي أعلنه الحلفاء، والذي يدعو الشعوب التي تحرّرت من النير العثماني الى تقرير مصيرها على ضوئه، سيقول اللبنانيون كلمتهم بصدد شكل الحكم الذي يتمنون إقامته في بلادهم.

و«الاتحاد اللبناني» الذي تأسّس عام ١٩٠٩ للذود عن مصالح لبنان، والذي ينتسب إليه الكثيرون في مصر وأميركا ولبنان، قد رفع الى الدول الحليفة الكبرى، خلال كانون الثاني ١٩١٨، مذكرة حول أماني اللبنانيين الذين يمثّلهم، ومن الثابت ان برنامجه، الذي توجزه صيغة «استقلال لبنان في حدوده الطبيعية بضمانة الدول الكبرى»، لم يحظَ بعد بموافقة الشعب اللبناني، ومن الضروري تأمين شرطين لهذا الشعب، ليستطيع قول كلمته في الموضوع، أما الأول، فهو أن يتمكّن المغتربون اللبنانيون من الحصول على كل ما يسهّل لهم الاتصال ببلدهم، والعودة إليه منذ

١٤٤. A.E., V. 2, p. 267

١٤٥. A.E., V. 7, p. 87-89

١٤٦. استعنّا بترجمة للدكتور جورج كرم، نُشر في مجلة **حوليات**، ١٩٨١، الجامعة اليسوعية، ص ١٣١ – ١٣٢.

الساعة، وذلك ليحاوروا مواطنيهم ويرشدوهم بآرائهم وتجاربهم، وليدلوا بأصواتهم في عملية الاقتراع الشعبي. ولا يكون كلامنا بلا طائل اذا ما ذكّرنا هنا ان عدد المغتربين اللبنانيين يقدّر بـ ٣,٠٠٠,٠٠٠. فهم اذن أكثر عددًا من اللبنانيين المقيمين، وان معظمهم في سن الشباب، وان ما كانوا يرسلونه من دراهم، كان يؤمّن حاجات ذويهم. وأما الشرط الثاني فهو ان يتمكّن الشعب اللبناني من الاقتراع بحرية بعيدًا عن أي ضغط أو إكراه. وقد بلغنا ان أشخاصًا يقومون بدعاية سياسية، قد أخذوا يستغلون فقر الشعب اللبناني وتضعضعه النفسي، الناجمين عن المحن الرهيبة التي مرّ بها وذلك لانتزاع تواقيعه على المبادئ التي يروّجون لها، بعد تطويقه بمختلف الأساليب غير المشروعة، بدافع من حماسهم غير المتحفّظ. اننا نحتج بأصوات مرتفعة على هذه الممارسات.

ومن جهة ثانية، فقد وافق مجلس إدارة لبنان على قرار يتعلّق بمستقبل لبنان السياسي. ان النظام الأساسي (١٨٦١ – ١٨٦٤) الذي نصّ على إنشاء هذا المجلس، قد حدّد مهمته في المادة الثانية كما يلي:

«توزيع التكاليف والتدقيق في واردات الجبل ومصارفاته، وتبيان آرائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرّف». وعليه، فهو لا يملك أيّة سلطة تخرج عن نطاق صلاحياته التي حدّدت بوضوح، فضلاً عن ان الشعب اللبناني لم يعطه أي تفويض شرعي يخوله حق تقرير مصير لبنان. ولما كان من الواجب تجديد ولاية ثلث أعضاء المجلس كل سنتين، وبما ان أعضاءه الحاليين قد انتخبوا قبل الحرب، فان ولاية ثلثي أعضائه هي في حكم المنتهية، ولا سيّما ان عملية الانتخاب اللازمة لبقائهم في مراكزهم لم تحصل.

اننا نطلب من حكومات الحلفاء التي نكنّ لها الاحترام، ان تؤمّن للمغتربين اللبنانيين سبل الاتصال الحرّ بوطنهم، ليعودوا إليه ساعة يشاؤون، وان تعتبر القرار الذي أصدره مجلس الإدارة معبّرًا عن أماني أعضائه الشخصية، وبالتالي لا يقيد الشعب اللبناني بشيء، وان تعتبر المواثيق التي حصلت في هذه الظروف باطلة وملغاة، وغير معبّرة عن إرادة اللبنانيين الحرّة، وأن تؤمّن لاستفتاء الشعب اللبناني جميع الضمانات اللازمة لاستقلاليته، فيحصل بإشراف مندوبين عن الدول العظمى، ولا يستبعد أن تعترض سبيل القيام باستفتاء عام في البلاد صعوبات كبرى. ويمكننا التأكيد ان قيام جمعية تأسيسية يتراوح عدد أعضائها بين ٢٠٠ و٣٠٠ عضو، وينتخبون بالاقتراع الصحيح والمراقب، ثم دعوتها الى تقرير مصير لبنان، هو وحده يؤدّي الى اتخاذ قرار عن إرادة الشعب.

تلك هي الأماني التي أخذنا على عاتقنا رفعها بملء حريتنا الى الدول العظمى والحليفة. وأملنا وطيد بأنها ستعير مستقبل هذا الشعب الصغير اهتمامها، لما قاساه من آلام، ولتعلّقه الثابت بالقضية الكبرى التي حملت الأمم الحليفة السلاح من أجلها، ألا وهي قضية الحق والحضارة.

ولنا الشرف في أن نرفع إليكم ربطًا ترجمة لاحتجاجنا الذي وجّهناه الى مجلس إدارة لبنان.
وتفضّلوا، سيدي الرئيس، بتقبّل أسمى عبارات تقديرنا.

رئيس الاتحاد اللبناني
سودا

وبموازرة هذه المذكّرة أرفقت دراسة تفنّد المرتكزات التي شكّلت مضمون قرار مجلس الإدارة.

في الشكل ثمة طعن بقانونية تمثيل المجلس للشعب اللبناني على اعتبار ان مدته قد انتهت وكذلك عدم حريته في التصرّف من جهة، ومن جهة أخرى بسبب وجود لبنانيين كثر في الخارج لم يتمثّلوا بالوفد الذي أرسله المجلس الى مؤتمر الصلح.

وتذكّر الدراسة بديمقراطية الإمارة اللبنانية (كانتقال الإمارة من المعنيين الى الشهابيين وسقوط بشير الثاني...) وتطالب بتمثّل هذه الظاهرة من قبل مجلس الإدارة.

أما في الموضوع، فتضيف الدراسة، ان مجلس الإدارة اقتصر طلبه على الاستقلال الإداري دون الاستقلال التام، الأمر الذي أدّى الى طلب السيادة الأجنبية بل الى ترك الباب مفتوحًا لإدخال لبنان في دائرة الاتحاد السوري وجعله ولاية سورية مهما اختلفت الأشكال.

وبعد الموافقة على الطلبين الأول والثالث، من قرار مجلس الإدارة يلفت النظر الى ما في القرار من النقص والاهمال:

١. طلبتم في البند الثاني من القرار الاستقلال الإداري، بالشكل المعروف بحسب مبدأ «اللامركزية» فاقتصرتم على قولكم «تأييد استقلال هذا البلد اللبناني بإدارة شؤونه الإدارية والقضائية بواسطة رجال من أهله» وهو استقلال وظائف لا استقلال بلاد قد يكون حظ لبنان منه حظ سائر الولايات السورية.

وطلبتم في البند الرابع معاونة دولة أجنبية «للإدارة المحلية في تسهيل نشر العلوم والمعارف وتقدّم البلاد ورقيّها وإزالة أسباب التفرّق والخلاف وتطبيق الأعمال على محور العدالة والحرية والمساواة وضمان الدولة المشار إليها للاستقلال المذكور منعًا لكل مساس به».

معنى ذلك ان الوظائف الإدارية والقضائية تُسند الى أهل لبنان. وكل ما سوى ذلك يكون للدولة المساعدة او الحامية: فلها نظارات المعارف والمالية والأشغال العمومية والأديان والعدلية والخارجية والعسكرية، وكان الأليق بنا وبكم أن تُذكَر هذه الأمور صريحًا لا أن يُشار إليها من طرف خفي قد يفوت فهمه الأكثرين.

٢. أهمل أمر الحاكم ولم ترد الإشارة إليه بكلمة فلم نفهم ما هو رأيكم فيه: من يكون الحاكم في لبنان؟

٣. أغفلت أيضًا مسألة الحكومة أو الوزارة. وهي كما لا يُخفى أساس كل عمل في البلاد

المستقلة: هل يكون للبنان حكومة مؤلّفة من وكلاء كما في البلدان المتمدّنة. فوكالة للداخلية مثلاً ووكالة للعدلية ووكالة للمالية الخ، أم لا يكون؟

٤. أيبتدئ القضاء وينتهي في لبنان أم يكون له محكمة تمييز خارجية عنه مسيطرة عليه؟

انكم في ما طلبتموه صريحًا في البندين الثاني والرابع وفي ما أهمل طلبه قد قطعتم أمل لبنان بالاستقلال الصحيح وجعلتموه بحيث يسهل إدغامه في سوريا فيكون ولاية من ولاياتها...

هذا ما رأينا لفت نظركم إليه من حيث شكل القرار وموضوعه خدمة للمصلحة العامة. ولما كان هذا القرار لم يتصل بنا إلاّ بعد ان وضعتموه موضع التنفيذ بايفاد وفد يعرض الطلبات التي تضمنها مؤتمر الصلح، فلم يكن أمامنا في حين نبسط لكم ما تقدّم إلاّ أن نرفع في الوقت نفسه مذكّرة الى رؤساء الحكومات المتحالفة نحتج فيها على طلب تضييق استقلالنا. ونبسط أماني الشعب اللبناني كاملة وهي «التمتع بالاستقلال التام في حدود البلاد الطبيعية بضمان الدول العظمى».

هذا ونحن على يقين من أنكم تحلّون هذه الملاحظات محلها قيامًا بالواجب المفروض على كل لبناني صادق لبلاده المنكودة الحظ ولأبنائها المقيمين والمهاجرين أبناء اليوم وخصوصًا أبناء الغد[١٤٧]...».

بعد هذه المذكّرة والدراسة المقدّمة الى أعضاء مؤتمر الصلح، قدّم حزب الاتحاد اللبناني الى كليمنصو مذكّرة أخرى تطالب بإنصاف اللبنانيين والتعويض عليهم من خسائر الحرب، وتحميل الأتراك دفع التكاليف[١٤٨].

على مستوى آخر لم يقتصر تحرّك الاتحاد اللبناني على المذكّرات النظرية وانما تعداه الى التحرّك الشعبي في مختلف المناطق اللبنانية. وعندما جاءت لجنة كينغ – كراين لاستفتاء شعوب المنطقة بالنسبة الى مستقبلهم، تمكن الاتحاد من تقديم ٣٦ عريضة تبنّت برنامجه.

وسوف يلعب زعماء الاتحاد الدور البارز في تطوّر السياسة اللبنانية ابّان فترة الانتداب وفي فترة الاستقلال.

٢. جمعية النهضة اللبنانية ودورها في مؤتمر الصلح

كانت جمعية النهضة اللبنانية قد أُنشئت عام ١٩١١ (أواخر شهر آب) على أثر حفلة تكريمية كبرى أقامها نعوم مكرزل[١٤٩] في نيويورك وحضرها العديد من الوجهاء والأدباء والتجار اللبنانيين. ومن الأهداف التي حدّدتها عند نشأتها:

١٤٧. هذه المذكّرة – الدراسة موجودة في A.E., V. 7, p. 92-94. – وكذلك يراجع، يوسف السودا، **استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية**، لا اسم للمطبعة، لا تاريخ، ص ١٣١ – ١٣٥.

١٤٨. A.E., V. 10, p. 36-38 (5 fév. 1919)

١٤٩. وُلد في ٢ آب سنة ١٨٦٤ بقرية الفريكة. تعلّم تحت السنديانة ومن ثم في مدرسة الحكمة. غادر الوطن

– المحافظة على امتيازات لبنان
– فتح مرفأ له.
– ترقية شؤونه العمرانية.

وقد حاولت هذه الجمعية ان تتحرّك بالتنسيق مع باقي الجمعيات اللبنانية طارحة القضية اللبنانية قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى. ما يهمنا الآن تسليط بعض الأضواء على نشاط هذه الجمعية ورئيسها نعوم مكرزل في مؤتمر الصلح ١٩١٩ – ١٩٢٠.

أ) ظروف مجيء نعوم مكرزل الى باريس

كانت السياسة الفرنسية بالنسبة لمستقبل المنطقة (سوريا ولبنان وفلسطين) تفتقر للوضوح، كما بيّنا. وكان هناك حاجة من قبل الفرنسيين لقوى إعلامية وسياسية ناشطة تساعدهم في صراعهم ضد المدّ الانجليزي – الشريفي المناهض لهم على امتداد المنطقة.

من هنا فاننا نميل الى الترجيح بأن مجيء نعوم مكرزل الى باريس (١٩١٩)، يعود الى سببين:

– إرادته الصلبة بالدفاع عن استقلال لبنان وتوسيع حدوده في ظل الحماية الفرنسية.
– حاجة الفرنسيين الى شخصية إعلامية (صاحب أكبر جريدة مهجرية) وسياسية (رئيس جمعية النهضة اللبنانية) هذه الشخصية لها تأثيرها ونفوذها في مختلف الأوساط السياسية والدينية والإعلامية في لبنان وفي بلاد الاغتراب.

ولقد كانت المشاورات مستمرة بين مكرزل والفرنسيين ابّان الحرب، وكذلك ازدادت قبيل انتهائها. ففي ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ يرسل القنصل الفرنسي في نيويورك (ليبرت) تقريرًا[١٥٠] الى وزارة الخارجية الفرنسية عن اجتماع هام عقده مع مغتربين لبنانيين وسوريين أبرزهم نعوم مكرزل مدير جريدة الهدى والدكتور ايوب ثابت وأمين الريحاني. وفي شباط يرسل ليبرت ٣ تقارير على التوالي، يذكر في الأول[١٥١] ان نعوم مكرزل رئيس النهضة اللبنانية هو شخصية هامة ويجب رعايتها عند وصولها الى باريس، وفي التقرير الثاني يشدّد القنصل الفرنسي على ان مكرزل صديق

الى مصر حيث مارس التعليم لدى الآباء اليسوعيين في القاهرة، ثم لم يلبث ان عاد الى لبنان، وبعد سنتين هاجر الى نيويورك مرورًا بباريس. بعد أن مارس التجارة والتعليم انطلق في مهنة الصحافة فأنشأ صحيفة صغيرة دعاها «العصر» عام ١٨٩٤، ثم أنشأ جريدة «الهدى» عام ١٨٩٨، وقد أصبحت تصدر يوميًا من عام ١٩٠٢، وكانت الرابط الهام بين الوطن والمهاجرين. اشترك مكرزل في المؤتمر العربي بباريس (١٩١٣) كما لعب دورًا هامًا خلال الحرب العالمية الأولى فساهم بإرسال التبرّعات الى اللبنانيين، ودافع عن القضية اللبنانية بمواجهة الظلم العثماني. كان برنامج جمعيته يتّصف بالطابع الليبرالي. (يمكن مراجعة هذا البرنامج في مجلة **المنار**، ج ٨، المجلد ١٧، ص ٦١٨ – ٦٢٣).

١٥٠. A.E., V. 3, p. 244-258
١٥١. A.E., V. 9, p. 262

حميم لفرنسا وانه آت الى باريس على ظهر الباخرة فرنسا[١٥٢]. وفي الثالث يحاول التخفيف من مسألة الخلاف بين مكرزل وبين أيوب ثابت مشيرًا الى ان الاثنين يؤيّدان وضع سوريا تحت الوصاية الفرنسية[١٥٣].

ب) البرنامج المقدّم من جمعية النهضة اللبنانية الى المؤتمر

على امتداد عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ قدّم مكرزل الى مختلف الأوساط السياسية والدينية والاعلامية في باريس وفي عدة بلدان أوروبية برنامج جمعية النهضة اللبنانية بالنسبة لمستقبل لبنان، وحسبنا التوقف عند وثيقتين تتشابهان في خطوطها العريضة.

– الوثيقة الأولى مؤرّخة في ١٠ اذار ١٩١٩[١٥٤].

«ان جمعية النهضة اللبنانية[١٥٥] هي جمعية وطنية سياسية واصلاحية، هدفها الدفاع عن مصالح لبنان ونجاحه وإعادته الى حدوده التاريخية والطبيعية، وتأمين حكومة دستورية مستقلة له تحت وصاية فرنسا وحدها، وكذلك تحقيق تنميته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وايضًا تأمين التضامن والوحدة الوطنية. وان جمعيتنا ترى ان من الواجب ايكال السلطة الى حاكم فرنسي يقيم في لبنان ويعاونه مستشارون وقائد للجيش كلهم فرنسيون، خدمتهم للبنان تستمر حتى يصبح بمستطاع الشعب اللبناني ان يحكم نفسه بنفسه.

أما بالنسبة للمجلس الوطني الذي تناط به امور التشريع وادارة البلاد، فيجب ان يقتصر على اللبنانيين وحدهم، وتشكيله يتم بالانتخاب وليس بوسائل اخرى، بما فيه حكام المناطق وقضاة المحاكم.

العربية والفرنسية هما اللغتان الرسميتان للبلاد

الجيش اللبناني لا يقوم بالحرب إلاّ على التراب الوطني اللبناني. وذوي الأصل اللبناني هم وحدهم الذين يحق لهم الانخراط في السلك العسكري.

جميع الموظفين في الوظائف العامة يجب ان يكونوا من المواطنين اللبنانيين.

علم لبنان يجب ان يكون علم فرنسا مع وجود الارزة في الجزء الابيض منه.»

– أما الوثيقة الثانية فهي مؤرّخة في ١٤ ايار ١٩١٩، وهي بعنوان «مطالب جمعية النهضة اللبنانية»[١٥٦].

١٥٢. A.E., V. 10, p. 55 (25 fév. 1919)
١٥٣. A.E., V. 10, p. 9 (27 fév. 1919)
١٥٤. A.E., V. 10, p. 208 (10 mars 1919)
١٥٥. التسمية الفرنسية للجمعية: «La Ligue Libanaise»
١٥٦. A.E., V. 12, p. 288-289; V. 14, p. 15-16 et V. 125, p. 45-46

«انها جمعية تأسّست في نيويورك عام ١٩١٩، ولها اليوم فروع في كل بلدان الاغتراب، وهي تمثل غالبية المهاجرين اللبنانيين (وبعد ان تورد نصًا مشابهًا للمذكّرة السابقة تضيف) ان تاريخ الشعب اللبناني يشهد، حتى دون العودة الى الفترة الفينيقية، بأنه خاض مجابهات دامية، متفاوتة في حدّتها، وذلك من اجل الحفاظ على استقلاله. وحدوده انكفأت او تمدّدت تبعًا للاحداث والظروف. وهذا الجبل الفخور بنفسه، الذي شكّل على امتداد العصور ملجأ لكل الطوائف المضطهدة في الشرق، حوّله تحالف الاتراك والالمان، بعد الغاء استقلاله، ارضًا خرابًا يرفرف عليها الرعب، فارضين عليه نظامًا من الارهاب والتنكيل بجوع الناس ويتركهم طعمًا للأمراض والأوبئة بشكل منهجي ومنظّم (...).

وتصل المذكّرة الى القول:

ان جمعية النهضة اللبنانية مستندة على مبادئ الحق والعدالة والحرية التي رفعها الحلفاء، تتقدّم بالمطالب التالية:

- تشكيل حكومة لبنانية تمثيلية ومستقلة بمساعدة فرنسا وحدها.
- إعادة لبنان الى حدوده الطبيعية والتاريخية حسب الخريطة الموضوعة من قيادة الحملة الفرنسية على سوريا عام ١٨٦٠ – ١٨٦١.
- استحداث الأنظمة الوطنية التي تستجيب لحاجات البلاد.
- استحداث قانون لأوقاف الطوائف المختلفة الموجودة في لبنان والتي هي بيد رجال الدين بحيث تخضع هذه الأوقاف للضرائب وتبقى مُدارة من رجال الدين، على ان تُنفق فوائض مردودها على التعليم الرسمي وعلى أعمال الخير بما يتفق والهدف الأصلي من قبل الذين أوقفوها.

صاحب الهدى ورئيس جمعية النهضة اللبنانية
نعوم مكرزل

ج) التحرّكات التي قام بها مكرزل لإنجاح برنامجه

ان الأهداف التي وضعها مكرزل نصب عينيه لم تكن كلها سهلة المنال في إطار الصراعات التي كانت محتدمة على صعيد السياسة الفرنسية وعلى صعيد العلاقات مع الانكليز ومع فيصل، وكذلك بالنسبة لتنوّع التيارات ضمن الطوائف اللبنانية.

وبالرغم من اننا، في منهجيتنا لتحليل أحداث التاريخ، أميل الى ايلاء الأهمية لمجموع العوامل المعقّدة والمتشعبة التي تكمن وراء حدث معيّن، إلاّ أننا، في ذات الآن، لا نقلّل من تأثير معيّن قد يلعبه بعض الأفراد. وانطلاقًا من ذلك نؤكّد على أهمية الدور الذي لعبه مكرزل، مع رجالات قلائل آخرين، في طرح المسألة اللبنانية في مؤتمر الصلح.

١. اجتماعاته مع المسؤولين الفرنسيين:

استمر وجود مكرزل في باريس عدة أشهر قابل أثناءها أهم الشخصيات السياسية والعسكرية والدينية، وتداول معها جوانب المسألة اللبنانية.

ففي ٢٣ نيسان ١٩١٩ قابل المفوض السامي الفرنسي جورج بيكو، وقد أكّد المسيو بيكو له – حسب تقرير أرسله الى جريدة الهدى – «ان مبادئنا مطابقة لمبادئه تمامًا وان هذه المبادئ التي تبشّر بها النهضة اللبنانية أصدق وأصرح المبادئ اللبنانية الوطنية. واثباتًا لحديثه معي أرسل في اليوم التالي صديقه الكابتن لويس ماسينيون لزيارتي في نزل الكونتيننتال ليؤكّد لي بالنيابة عنه ارتياحه الى مبادئ النهضة اللبنانية. انا لست ذاهبًا الى لبنان. ولن أعود الى الولايات المتحدة قبل ان يتم لنا النجاح أم الانخذال. لا تنسوا ان هنالك جمعيات وجرائد مشتراة بمال فيجب على اللبنانيين الأصلاء نبذها من بينهم. وهي التي يبيع أصحابها ضمائرهم وتجرّب بيع استقلال لبنان.»

وفي تقرير آخر أرسله في ٢٢ ايار ١٩١٩ يقول: «دعتني اليوم وزارة الخارجية الفرنسية وأخبرتني بأن بروغرام النهضة اللبنانية الذي كان في الوزارة منذ أسابيع قد قُبل بكل مواده (...) سيكون استقلالنا تامًا ولن يكون لنا سوى علائق اقتصادية فقط مع جاراتنا من الولايات السورية...».

وفي ٢٧ ايار ١٩١٩ قابل مكرزل الماريشال جوفر وتحادثا طويلاً وأبدى الماريشال اهتمامه بمسألة لبنان وسوريا ووافق على بروغرام النهضة كل الموافقة.

وتقرير أول حزيران من نفس السنة يشير الى تمكّن مكرزل من مقابلة الجنرال فوش في مكتبه الخاص وعطف هذا القائد العظيم على المسألة اللبنانية.

وفي ٢٢ حزيران ١٩١٩ قابل المسيو بوانكارة رئيس الجمهورية الفرنسية وقدّم له الراية اللبنانية الحريرية التي اقترحت شكلها النهضة اللبنانية. وقد طلب منه الرئيس الفرنسي ان يحمل للبنانيين ما معناه: «قل لهم ان فرنسا لا يمكن ان تتخلّى عن مساعدة لبنان الذي تحبّه. وهي التي خلصته وسوف تخلّصه وتحرّره وتنيله استقلاله وتساعده عملاً برغائب ومطالب أبناء لبنان في بروغرام النهضة اللبنانية.»

وفي ٢٦ آب، عند الساعة الحادية عشرة صباحًا (عام ١٩١٩) يكون مكرزل في صحبة البطريرك الحويك اثناء اجتماعه مع المسيو بيشون وزير الخارجية[١٥٧].

وفي ٨ تشرين الثاني ١٩١٩ يجتمع نعوم مع بيشون ويتداولان في ما وصلت إليه المسألة اللبنانية[١٥٨].

---

١٥٧. تاريخ جريدة الهدى والجوالي اللبنانية في أميركا ١٨٩٨ – ١٩٦٨. لا اسم للمؤلف، مطبعة الهدى، ١٩٦٨، ص ٤٠ – ٤٥.

١٥٨. A.E., V. 125, p. 43 (8 nov. 1919)

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩١٩ عاد مكرزل الى نيويورك فاستقبل من قبل المهاجرين بحماس. وبعد وصوله تلقّى البرقية التالية من وزير الخارجية الفرنسي[159]:

«المسيو نعوم مكرزل رئيس النهضة اللبنانية.

سيدي الرئيس

لي الشرف أن أعلمك بوصول الأوراق والسجلاّت التي تكرّمت بارسالها إلي في كتابك المؤرّخ في ٨ تشرين الثاني وقد اطّلعت على مضمونها بأشد الاهتمام.

انك تعلم حق العلم شعور المحبة القوية التي تخالج ضمير الأمة الافرنسية نحو مواطنيك الذين أبانوا لها في اثناء الحرب بالبراهين الكثيرة مبلغ تعلّقهم بها. فكن على يقين من أن أماني النهضة اللبنانية تمكّنت تمامًا من قلب فرنسا. وأرجو منك ان تكون لدى النهضة ترجمان امتنان فرنسا وتشكراتها وان تؤكّد لها ان حكومة الجمهورية تثابر دائمًا على الدفاع عن حقوق اللبنانيين ومطالبيهم العادلة الحقة. وانني يا سيدي الرئيس أحسب نفسي سعيدًا باغتنامي هذه الفرصة لأفصح لك تكرارًا عن عواطف امتنان امتي وحكومتي للحمية الشريفة التي ما فتئت تظهرها سواء في أميركا وفي فرنسا من أجل غايتكم وغايتنا وكنت أودّ لو قبلت منا البرهان الحسي على اعترافنا بجميلك ومع ذلك لا يسعني إلاّ الامتداح من العواطف التي أملت عليك ما قرّرته بشأن الوسام الذي كانت حكومة الجمهورية تعد نفسها سعيدة بمنحك اياه. تكرّم يا سيدي الرئيس بقبول اعتباري الفائق. (ستيفن بيشون)

٢. أساليب العمل التي اتبعها:

لقد استعمل مكرزل عدة أنواع من الأساليب للوصول الى ما كان يعتبره صالحًا لخدمة المسألة اللبنانية.

— استعمل أسلوب الهدايا الشخصية: فعندما زار الماريشال جوفر أميركا قبيل انتهاء الحرب، ليشكر باسم فرنسا الشعب الأميركي على المساعدات المقدّمة منها لفرنسا، وأثناء حفلة استقبال أقامها الماريشال في مبنى المكتبة الوطنية، في نيويورك، لاستقبال وفود الجاليات الفرنسية وممثلي المنظمات السياسية والخيرية التي تربطها بفرنسا صلات الود والصداقة، مثل النهضة اللبنانية نعوم مكرزل وقدّم للماريشال صندوقًا من الفضة وفيه ألف دولار ذهبًا. كما قدّمت له النهضة قلمًا ذهبيًا مرصّعًا بألماس. وقد تقبّل الماريشال الهدايا بامتنان وأكّد على عمق الصداقة مع الشعب اللبناني.

وعندما زار مكرزل، في ٢٢ ايار ١٩١٩، الماريشال جوفر، قدّم له من جديد، باسم النهضة، كرباجًا من الفضة الخالصة مصنوعًا في لبنان مع مبلغ من المال لإعانة أيتام الفرنسيين

١٥٩. تاريخ جريدة الهدى، المرجع السابق، ص ٤٦.

الذين يهتم بمساعدتهم. وكذلك قدّمت الهدايا الى فوش. والى الكاردينال مرسيه البلجيكي (البطل الوطني) قدّم مكرزل هدية مالية لتُصرَف على أيتام البلجيك فكان لها وقعها الكبير في نفسه[160].

— واستعمل أسلوب التعبئة الدينية، فلقد اتصل بمختلف رجالات الدين الفرنسيين وغير الفرنسيين وركّز على القصادة الرسولية في باريس، وكان للكاردينال الفرنسي ديبوى الدور الكبير في دعم المسألة اللبنانية. أما عن نفوذه لدى الاكليروس اللبناني من مختلف الطوائف فتشهد عليه جملة وثائق في الخارجية الفرنسية، أبرزها تلك التي تطلب فيها وزارة الخارجية الفرنسية منه التدخّل لدى البطريرك الماروني علّه يضغط على شقيقه الموجود في باريس، والذي كان من دعاة التيار الاستقلالي عن فرنسا، بهدف التخفيف من تحرّكاته[161].

— أما على الصعيد الإعلامي فقد برع مكرزل وأجاد. فبمؤازرة حملاته الإعلامية المستمرة في جريدة الهدى اتّبع أسلوب البرقيات الكثيفة باتجاه المسؤولين الفرنسيين. فابان وجوده في باريس كان يضغط باستمرار على مؤيّديه لإرسال البرقيات، والعرائض. ففي ١٧ نيسان كتب الى الهدى يقول: «أبرقوا الى اللبنانيين في كل مدينة واجمعوا أصواتهم وأرسلوها إلي». وقد لبّت النهضة اللبنانية الطلب وأرسلت لصاحب الهدى عرائض المهاجرين فقدّمها الى المراجع الرسمية. فهذه برقية من مكسيكو تؤكّد على مطالبة آلاف اللبنانيين بالاستقلال الذاتي والحدود الطبيعية والحماية الفرنسية وتأييد نعوم مكرزل في مؤتمر الصلح[162].

وهذه رسالة أخرى من فنزويلا تطالب ببرنامج النهضة اللبنانية[163].

وقد كان من شأن التحرّك الواسع لمؤيّدي جمعية النهضة اللبنانية ان أرسل القنصل الفرنسي في واشنطن جيسراند (Jusserand) رسالة الى وزارة الخارجية الفرنسية في ١٠ نيسان ١٩٢٠ يبرز فيها قوة التيار الداعي للبنان الكبير والحماية الفرنسية في أوساط الجاليات اللبنانية في أميركا. ويقدّر هذا التقرير مؤيّدي مكرزل بنصف مليون انسان[164].

لقد كان نعوم مكرزل شخصية تتمتّع بميزات عديدة أهّلته أن يلعب دورًا بارزًا في مرحلة هامة من تاريخ لبنان المعاصر. ولئن كانت شخصيات كيوسف السودا وخيرالله خيرالله وانطون الجميل وعباس المصري وغيرهم تبدو لنا أكثر نصاعة وأعمق استقلالاً وأشدّ صلابة في وجه الأجنبي، أيًا كان هذا الأجنبي، إلاّ ان الحسّ العملي في المجال السياسي والتحرّك الدؤوب، عند ابن الفريكة، يبقى مجال تأمّل وتحليل.

١٦٠. المرجع السابق، ص ٣٨ – ٤٢.
١٦١. A.E., V. 13, p. 112
١٦٢. A.E., V. 11, p. 185 (2 avril 1919)
١٦٣. A.E., V. 125, p. 11
١٦٤. A.E., V. 125, p. 163 (10 avril 1920)

٣. الرابطة اللبنانية في باريس Le Comité Libanais de Paris

بينما كان حزب الاتحاد اللبناني في مصر وفي بلدان الاغتراب يتحرّك بفعالية، منذ ١٩٠٩، طارحًا المسألة اللبنانية ومطالبًا بجملة إصلاحات يرى ضرورة إدخالها على نظام المتصرفية، وعلى اثر انطلاق جمعية النهضة اللبنانية في نيويورك عام ١٩١١، لبّى بعض المقيمين في باريس من اللبنانيين دعوة موجّهة إليهم من خيرالله خيرالله[١٦٥] وذلك في أول حزيران ١٩١٢.

في هذا الاجتماع انتخب المجتمعون شكري غانم كرئيس وخيرالله خيرالله ككاتم أسرار لجمعية جديدة تمّ إنشاؤها وتحمل اسم «اللجنة اللبنانية في باريس» «Le Comité Libanais de Paris» وقد قدّم خيرالله خيرالله، في هذا الاجتماع مذكّرة عن الوضع في لبنان واستخلص بعض النتائج. ويبدو ان قيادة «اللجنة» انطلقت من «المذكّرة» التي تمّت مناقشتها في الاجتماع، الى وضع مذكّرة شاملة حول المسألة اللبنانية، قدمتها الى ممثلي مختلف الدول الأوروبية[١٦٦]. ويستنتج من مضمون المذكّرة:

- ان خيرالله مطّلع بعمق على جزئيات الأوضاع في المتصرفية.
- انه يسعى لتوسيع حدود لبنان.
- انه يحاول تحقيق برنامج فيه الكثير من الملامح الليبرالية.

في عام ١٩١٣ جاء خيرالله الى لبنان، بعد ان عرّج على مصر واتصل بالقيادات اللبنانية هناك. وبادر بانشاء عدة فروع للجنة اللبنانية في بعض المناطق اللبنانية وفتح حوارًا عميقًا مع القيادات الإسلامية في بيروت. كما عاد بعرائض شعبية[١٦٧] طالبت بتوسيع لبنان الى حدوده

---

١٦٥. من مواليد قرية جران، بمنطقة البترون (٢٧ كانون الثاني ١٨٨٢). تلقّى دروسه الأولى في مدرسة القرية وبعدها انتقل الى مدرسة النصر في كفيفان، فمدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي. ومن ثم التحق بمدرسة الآباء اللعازاريين في عينطورا عام ١٨٩٥، واختير لِيُعَدّ كاهنًا. في عام ١٩٠١ أرسله البطريرك الحويك الى بلجيكا لمتابعة دروسه الفلسفية واللاهوتية، ولكنه، بعد سنوات ثلاث، ترك بلجيكا وعاد الى لبنان رافضًا الانضواء في سلك الكهنوت. في لبنان مارس التعليم في عدة مدارس، وقام بترجمة بعض الكتب من العربية والفرنسية، وعمل كترجمان لدى المتصرف مظفّر باشا. ولكنه ما لبث ان استقال وانصرف للكتابة في الصحف والمجلات. عام ١٩١١ سافر الى باريس، ومارس الكتابة في عدّة مجلات وصحف كانت تهتم بالعالم الإسلامي وخاصة جريدة (Le Temps). كما قُبِلَ كعضو في الجمعية الاسيوية.

يُعتبَر خيرالله، دون مبالغة، أبرز الوجوه الفكرية التي طرحت القضية اللبنانية باستقلالية وعمق، وهو يُعتبَر مهندس فكرة التعايش بين «المسألة اللبنانية» في بُعدها الاستقلالي والديمقراطي، و«القضية العربية» بما هي قضية تحرّر من الهيمنة الخارجية والتخلّف الداخلي.

١٦٦. K. T. KHAIRALLAH, *Les régions arabes libérées*, Éd. Ernest Leroux, 1919, p. 65
ونصّ هذه المذكّرة نُشر بالعربية في جريدة البرق، السنة الرابعة، العددين ١٨٩ و١٩٠ (١٩١٢) ص ٣٠٣ – ٣١٣.

١٦٧. قيل ان هذه العرائض قُدِّمت باسم ٣٠٠ ألف لبناني ووقّع عليها مئة وثلاثة عشر شيخ صلح و١٧ مديرية – K. T. KHAIRALLAH, *op. cit.*, p. 66-67.

الطبيعية والتاريخية وقدّمها الى وزارة الخارجية الفرنسية. وباستثناء بعض المحاضرات[١٦٨] والمقالات، لم تقم اللجنة اللبنانية، وزعيمها خيرالله، بالكثير من النشاطات.

ولكن منذ مطلع عام ١٩١٩ جدّدت اللجنة اللبنانية نشاطها وبدأت تحرّكها.

أ) أبرز أعضائها:

يورد تقرير[١٦٩] مؤرّخ في ٦ شباط ١٩١٩ لائحة بأعضاء اللجنة اللبنانية في باريس مع عناوينهم واصفًا اياهم بأنهم «معارضون للتحرّك الفرنسي في سوريا»: عباس بجاني، سيزار باسيم، حبيب زغبي، هـ. هيكل، الياس منسّى، انطوان زوين، فارس حنا، الياس عاد، سعد نجيم، خيرالله خيرالله، جوزف حويك[١٧٠] قزي، ميكال ابو حمد، فرح فرح، هيكل، المونسنيور فارس، نسيب نجيم، جوزف فرح.

ويبدو ان رئيس اللجنة هو عباس بجاني وسكرتيرها العام هـ. هيكل. أما خيرالله خيرالله فهو الموجّه الفكري للجنة.

ب) برنامج اللجنة وتحرّكاتها:

على أثر اجتماعها في ٥ شباط ١٩١٩ قدّمت اللجنة الى وزارة الخارجية الفرنسية المذكّرة التالية[١٧١]:

«باريس ٨ شباط ١٩١٩

السيد وزير الخارجية ستيفان بيشون – الكي دورسه

ان اللبنانيين الموجودين في باريس، والمجتمعين في جمعية عامة بتاريخ ٥ شباط ١٩١٩، قد كوّنوا لجنة هدفها تحقيق استقلال لبنان في حدوده الطبيعية والتاريخية وهذه اللجنة تتمتّع وحدها بصفة التمثيل للبنانيين الموجودين في باريس امام المراجع المختصة.

آملين أن تأخذوا بعين الاعتبار تصريحنا، نرجو منكم، يا سعادة الوزير، ان تتقبّلوا أسمى عواطفنا الممتازة.

الرئيس: عباس بجاني».

السكرتير: هـ. هيكل

---

١٦٨. أبرزها تلك المحاضرة التي ألقاها في الندوة العلمية بباريس حول «المسألة اللبنانية» وقد طُبعت في كتاب مستقل.

١٦٩. A.E., V. 9, p. 128

١٧٠. ربما يكون هو نفسه النحّات يوسف الحويك.

١٧١. A.E., V. 9, p. 148

وفي ٩ شباط ١٩١٩ اجتمعت اللجنة وقرّرت ما يلي:

١. ايصال برنامجها الى القوى الكبرى، تبعًا لقرارها المتخذ في ٥ كانون الثاني.
٢. الوقوف ضد وفد داود عمون.
٣. الطلب من المؤتمر الاستماع الى اللجنة.
٤. تكليف خيرالله بطرح وجهة نظر اللجنة امام مؤتمر الصلح[١٧٢].

وانطلاقًا من ذلك وجّهت اللجنة الى مؤتمر الصلح المذكّرة التالي نصّها[١٧٣]:

«باريس ١٤ شباط ١٩١٩،

حضرة السكرتير العام

ان اللجنة اللبنانية تتوجّه الى عدالة وتجرّد مؤتمر الصلح ليكون لها حق تقديم وجهة نظرها المطالبة **بالاستقلال** بالنسبة للمسألة اللبنانية.

فلقد استمع المؤتمر الى الأمير فيصل مندوب الحجاز الذي استدرج الكلام عن لبنان في سياق عرضه للقضية العربية وبنوع خاص للقضية السورية.

كما استمع المؤتمر لشكري غانم. رئيس اللجنة المركزية السورية، والذي يحمل الجنسية الفرنسية ويمثّل وجهة النظر الفرنسية.

وسمع المؤتمر ايضًا للسيد بلس مدير الجامعة الأميركية في بيروت، وهو شاهد حيادي نقدّر قيمته الأخلاقية العالية.

وسيزمع المؤتمر ان يستمع للوفد المرسل من قبل مجلس الإدارة اللبناني، وهو الذي يمثّل ايضًا وجهة النظر الفرنسية.

أليس من الإنصاف ان يفسح المجال اللبناني، أمام المؤتمر لعرض وجهة النظر الوطنية في المسألة اللبنانية؟ وتقبّلوا يا حضرة السكرتير العام أسمى معاني التعبير عن عواطفنا الممتازة.

الرئيس: عباس بجاني

السكرتير: هـ. هيكل»

هذا التحرّك المطالب بالاستقلال للبنان، والرافض للوفود المؤيّدة للهيمنة الفرنسية أزعج الدوائر الفرنسية المعنية بوضع المنطقة.

ففي ٤ شباط ١٩١٩ قدّمت ملاحظات للسيد (غوت) جاء فيها[١٧٤]:

«لقد طلبت مني – بإحالتك إلي رسالة شكري غانم – أن أكتب للأمن العام والى دائرة

١٧٢. K. Khairallah, *op. cit.*, p. 72
١٧٣. A.E., V. 9, p. 229
١٧٤. A.E., V. 9, p. 187

البوليس لفرض مراقبة علانية على هؤلاء السوريين المنشقّين. وأجد من واجبي لفت انتباهكم الى أن الفرصة أضحت مناسبة لتزويد الإدارة بالأسماء والعناوين. ويمكننا كذلك أن نطلب بسرعة ايصال كل الرسائل المرسلة الى هؤلاء السوريين لفحصها لديكم. هذه قضية تُعتبَر مستجابة. يبقى ايضًا أن نترقّب للمستقبل منذ الآن، ما ماهية الإجراءات التي يجب علينا اتّخاذها ضد هؤلاء الأشخاص الذين، برأيي، قد أسرفوا في استغلال كرم ضيافتنا.

قال لي الدكتور سمنه، منذ قليل، ان خير سبيل للقضاء على تحرّكهم، يكون بإرسالهم الى سوريا، حيث يلاقون، كما يقول سكرتير اللجنة المركزية السورية، رفضًا معنويًا من قبل مواطنيهم. ولا أخال ان السيد بيكو يمكن أن يهنأ على هذه الهدية التي نرسلها إليه.

من جهة أخرى أجدني بحاجة لتذكيركم انه ستصل إلينا قريبًا، الرسالة التقليدية من إدارة البوليس بموضوع خيرالله حيث ان بطاقة إقامته قد رُفضت. هل يجب أن نؤكّد على القضاء على جرثومة الفساد هذه. القضية تبدو لي انه من الواجب، منذ الآن، أخذ الحيطة لأنه من الجوهري تحديد المدى الذي يمكن أن نصل إليه لنفهم هذا السوري، ان صبرنا له حدود. ومن البديهي أن يعلم انه اذا كان في بريطانيا واتخذ موقفًا سياسيًا معارضًا لمصالحها ولقضيتها في الخارج، فانه يُطرد خارجًا دون تردّد، ولكننا لسنا هنا في انجلترا».

باريس في ٤ شباط ١٩١٩ السيد ويت[١٧٥] (Wiet)

وفي سياق حملة المضايقة لقادة الحركة الاستقلالية اللبنانية أرسل وزير الخارجية الى وزير الداخلية (إدارة الأمن العام) الرسالة التالية:

«٧ شباط ١٩١٩ [١٧٦].

«لقد نمي الى أجهزتنا انه قامت حديثًا في باريس لجنة من قبل بعض السوريين واللبنانيين. واتجاهات هذه اللجنة مدانة من جانب أكثرية مواطنيهم، وأعضاؤها يسعون للادّعاء بحق التدخّل الرسمي في تسوية المسائل المتعلّقة بلبنان، علمًا أن لبنان أرسل وفدًا خاصًا اعتمد، لهذا الهدف، من قبل الحكومة الفرنسية.

هذه اللجنة التي يترأسّها خيرالله خيرالله[١٧٧]، والتي كانت موضوع اتصالات سابقة من قبل وزارتنا، تقوم حاليًا بحملة معادية ليس فقط لمصالح بلادنا العامة في سوريا، ولكن أيضًا معادية لمصالح السكان اللبنانيين والسوريين. ولقد ثبتت هذه اللجنة مقرّها عند عباس بجاني، ١٣ شارع شابرول، واتّخذت عنوانًا تلغرافيًا مناسبًا، وهو العنوان «اللبناني».

ان أجهزتنا لها مصلحة أن تكون مطّلعة على كافة الاتصالات التي يقوم بها أعضاء هذه

١٧٥. الاسم غير واضح تمامًا.
١٧٦. A.E., V. 9, p. 132
١٧٧. ربما يقصد الرئاسة الفكرية والمعنوية.

اللجنة ، وذلك للاستخبار على دسائسها الحالية . ويبدو اننا مجبرون على الطلب منكم إطلاعنا بسرعة على المعلومات اللازمة بما يتعلّق بالاتصالات الموجّهة الى أحد أعضاء اللجنة اما من فرنسا أو من الخارج .

يجب إطلاعنا على كل ذلك في أقرب فرصة لتحليلها من قبل الجهات المختصة (...) ويتمّ ذكر أسماء اللجنة الواجب مراقبتهم .

٤. حركة ربيع ١٩١٩ :

كان التيار المسيحي المتشدّد في دعوته لاستقلال لبنان عن كل وحدة مع الداخل السوري يزداد تخوّفه من تصاعد نفوذ القوى الداعية للوحدة السورية في دوائر السياسة الفرنسية ، كما كان يتخوّف هذا التيار من إمكانية الاتفاق بين فيصل والفرنسيين على حساب برنامجه . خاصة وان فيصل عاد من مؤتمر الصلح ، في أواخر نيسان ١٩١٩ ، الى دمشق وألقى فور عودته خطابًا[١٧٨] أعلن فيه إذعان الحلفاء لمطالبه باستقلال سوريا الطبيعية ووحدتها .

انطلاقًا من ذلك قامت حركة شعبية في مختلف المناطق المسيحية ، تجسّدت في مجموعة من العرائض والمظاهرات والبرقيات ، وكلها تؤكّد على استقلال لبنان ، وتوسيع حدوده وبعضها يطالب بالوصاية الفرنسية .

« في ١٩١٩/٣/٢٣ حاكم لبنان ، أفاد مدير جبيل ان أهالي المديرية اجتمعوا وطلبوا استقلال لبنان التام مع إعادة المسلوخ من أراضيه وعدم اندماجه بسواه ويلتمسوا رفع نداهم للمراجع العالية .

قائمقام كسروان ، عزيز[١٧٩]

وفي نفس التاريخ هناك برقية من بلدية جبيل بنفس المعنى[١٨٠]

« ٢٥ اذار ١٩١٩ ، حاكم لبنان ، الساعة صفر عندى أعيان ووجهاء القضاء وجمهور الأهالي وطلبوا إلي بكل إلحاح وحماس أن أرفع لناديكم طلبهم استقلال لبنان التام واعطائه حدوده الطبيعية القديمة ويلتمسون شمول طلبهم هذا بالتفاتكم ورفعه الى المرجع الأعلى رجاء إجابته طلبهم .

قائمقام قضاء جزين ، ميشال[١٨١]

١٧٨. الخطاب أُلقي في ٥ ايار ١٩١٩ .
١٧٩. A.E., V. 13, p. 149
١٨٠. A.E., V. 13, p. 147
١٨١. A.E., V. 13, p. 151

« ٢٥ مارس ١٩١٩ ، حاكم لبنان

جمهور غفير أوفر عددًا من الذين تجمهروا اول أمس أقام مظاهرات عظيمة طالبًا استقلال لبنان الكبير غير مندمج بسواه .

عن قائمقام البترون ، ابراهيم ابو سمرا غانم[١٨٢]

الساعة الحادية عشر من هذا الصباح احتشد جمهور غفير من أكثر انحاء القضاء امام مركز الحكومة ومعهم قطعة قماش مصوّر عليها رسم الأرزة وأخذوا ينادون بطلب استقلال لبنان رافضين اندماجه بسواه وإعادة الأراضي المسلوخة عنها ولم ينفكوا عن الضجيج من أمام المركز الاّ بعد أن وعدتهم برفع مطاليبهم لمعاليكم .

قائمقام البترون كسروان[١٨٣]

« ١٩١٩/٣/٣١ ، حاكم لبنان ،

ترد إلينا الإفادات المتواصلة من المدراء ان الأهالي تجمهروا بمراكز النواحي ونادوا بطلب استقلال لبنان التام وإعادة أراضيه المسلوخة عنه وعدم اندماجه بسواه ويؤيّدون قرار مجلس الإدارة الكبير الصادر مؤخرًا بهذا الشأن وطلبوا بإلحاح رفع نداهم لمعاليكم .

قائمقام البترون كسروان[١٨٤]

« ٢٥ مارس ١٩١٩

قوميسيرية فرنسا العليا ،

جمهور الشمال يكرّر طلبه تأييد استقلال لبنان التام وإعادته حدوده المغصوبة وانفراده عن سواه بمساعدته دولتكم الفخيمة لا تنفك عن هذا الطلب مها كلّفنا .

قوميسيون بلدية اهدن
أصالة ونيابة رئيس ، رشيد معوض[١٨٥]

« ٢٩ اذار ١٩١٩ بعبدا حاكم لبنان .

اليوم اجتمع جماهير الأهالي من عموم القرى ونادوا باستقلال لبنان الكبير بحدوده الطبيعية التاريخية والجغرافية استقلالاً تامًا ديمقراطيًا جمهوريًا ولا يقبلون بحدوده الموضوعة سنة الستين .

١٨٢. A.E., V. 13, p. 143-144
١٨٣. A.E., V. 13, p. 143-144
١٨٤. A.E., V. 13, p. 156
١٨٥. A.E., V. 13, p. 146

وألّفوا لجنة نابت عنهم لمراجعة دول الحلفاء لتأييد استقلالهم المذكور ولم ينصرفوا حتى استوثقوا بتقديمنا هذه العريضة لسعادتكم.

عن وكيل قائمقام الكورة، يوسف زخريا[١٨٦]

«سعادة المعتمد الفرنسي المسيو بيكو.

تأبى الأمة الافرنسية النبيلة التي تمثّلونها والعدالة ضحية منة شعب هرقت لأجلها دماء أجداده واستشهدت مائتي ألف نفس لتمسّكها بها وهي استقلال جبلنا بامتيازاته وبحدوده الطبيعية المشهورة تحت رعاية الدولة الافرنسية منفصلاً عن سوريا. لا ننفك عن المطالبة بحقوقنا الساطعة واذا تعمّدت السياسة ضررنا وتضحيتنا أعدّوا لنا طرق المهاجرة.

أهالي قرية سرعل – أهالي قرية كفرصغاب – أهالي قرية عين طورين – أهالي قرية طورزا – عربة قزحيا – قرية بان – قرية أيطو – علوان خليل حصر – اسطفان روكز – يوحنا الخوري – داود الياس – طنوس روحانا – وكيل شيخ قرية سرعل الخوري جبرائيل ملكوني[١٨٧]»

«١٩١٩/٥/١٧ بعبدا حاكم لبنان.

نثبت عرايضنا السابقة بإعادة نطاق لبنان لحدوده القديمة على استقلاله الإداري والسياسي والاقتصادي تحت ضمانة دولة فرنسا الفخيمة.

عن عموم أهالي دير القمر – مجلس بلديتها[١٨٨]»

«١٩١٩/٥/٢٠

رفع لنا عريضة من أهالي القضاء على اختلاف المذاهب والطوائف يطلبون فيها ان نبلغكم تمنياتهم بشأن مصير بلادهم وهي تنحصر في طلب استقلال لبنان الكبير استقلالاً تامًا وإعادته الى حدوده الأصلية الطبيعية المغصوبة.

قائمقام زحلة ميخائيل[١٨٩]»

«عريضة من سكان بعبدا الى مجلس إدارة جبل لبنان الموقّر ٢٠ ايار ١٩١٩ تطالب باستقلال

١٨٦. A.E., V. 13, p. 138
١٨٧. A.E., V. 13, p. 145
١٨٨. A.E., V. 13, p. 135
١٨٩. A.E., V. 13, p. 133

لبنان استقلالاً تامًا بمساعدة الدولة الافرنسية الفخيمة وان تُعاد إليه الأجزاء التي فُصلت عنه وان لا يكون له علاقة سياسية وإدارية بسواه.

الامضاءات[١٩٠]

«١٩١٩/٥/٢١

بعبدا – لجانب حاكمية لبنان.

نسترحم طلب تأييد استقلال لبنان التام بحدوده المغصوبة منه وانفراده عن سواه بمساعدة دولة فرنسا الفخيمة ونرجو رفع طلبنا هذا لجانب المؤتمر العالي في باريس.

بلدية جبيل – أصالة ونيابة[١٩١]»

«٢١ ايار ١٩١٩

بعبدا رياسة مجلس إدارة لبنان

نطلب باستقلال لبنان الكبير بحكومة ديمقراطية على الوجه الذي قرّره المجلس استقلالاً تامًا عن الحكومات المجاورة، شكّلنا لجنة مؤقّتة، الشعب المتني باشر انتخاب وكلائه بالجمعية الوطنية لتحقيق هذه الأمنية، خابر بقية الأقضية بذلك.

سليم ابي ياغي – حنا راشد – ملحم حنا – مخائيل بشير يوسف – الياس مشرق – فؤاد عقل – أسعد طوبيا – طنوس فريحة – منصور ناكوزي – سعيد بليبل – عبدالله بليبل – ابراهيم خليل الرياشي – أسعد زحلان باخوس – توفيق فرسان – يوسف ابي حمد – طانيوس عقل – خليل رستم بدور – حنا نوهرا – حبيب زغزغي – انطوان عبدالله – رشيد الحاج – منصور غانم – قيصر باخوس – بولس بو جوده – نعوم هارون – رشيد أسعد صعب – فؤاد ابي ناصر[١٩٢].

«٢ حزيران ١٩١٩ حكومة لبنان

أفاد مديرو غوسطا وجرد جبيل والمنيطرة وجبيل العليا والسفلى وجرد كسروان ان الأهالي تألّفوا جمهرة غفيرة يطلبون استقلال لبنان مع إعادة أراضيه المسلوخة عنه وعدم اندماجه بسواه ويرجون رفع نداهم للمراجع الايجابية. عن قائمقام كسروان بطرس[١٩٣].

١٩٠. A.E., V. 13, p. 160
١٩١. A.E., V. 13, p. 130
١٩٢. A.E., V. 13, p. 161
١٩٣. A.E., V. 13, p. 157

بالإضافة الى هذه العرائض والتقارير هناك العديد من البرقيات : منها واحدة من بشري[١٩٤] ، وأخرى من برمانا[١٩٥] ، وثالثة من عمشيت[١٩٦] ، ورابعة من البترون[١٩٧] ، وخامسة من بيت الدين[١٩٨] ، وسادسة من طرابلس[١٩٩] ، وسابعة من الدوق (البترون)[٢٠٠] .

---

١٩٤. A.E., V. 13, p. 136
١٩٥. A.E., V. 13, p. 131
١٩٦. A.E., V. 13, p. 132
١٩٧. A.E., V. 13, p. 159
١٩٨. A.E., V. 13, p. 134
١٩٩. A.E., V. 13, p. 153
٢٠٠. A.E., V. 13, p. 155